

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جامعة غليزان
Université de Relizane



محاضرات مادة الفونولوجيا إعداد الأستاذ الدكتور: ابراهيمي بوداود

مستوى السنة الثالثة ليسانس
التخصص : لسانيات عامة

السنة الجامعية

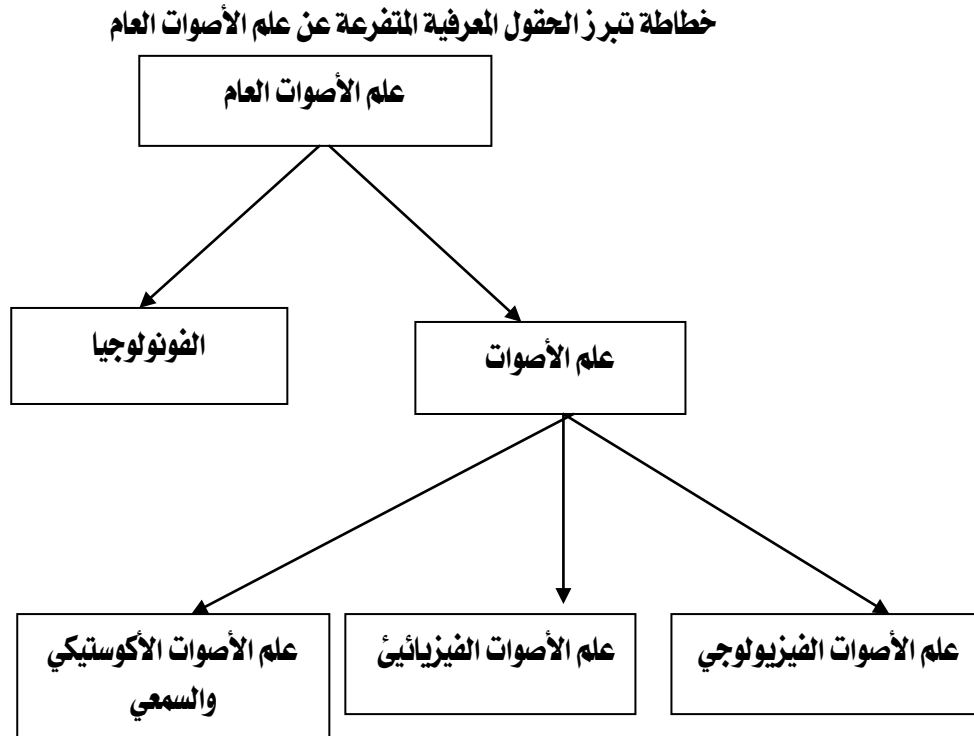
2022/ 2021

المصطلح والمفهوم

جاء مصطلح الفونولوجيا phonologie مركبا من الجذر phono بمعنى الصوت، و Logie بمعنى دراسة، ومن ثمة يأخذ المصطلح مفهوم دراسة الصوت، أو دراسة تشكيلات الصوت، أو دراسة النظام الصوتي، أو دراسة النظام التركيبي للصوت.. وقد ظهر المصطلح في بدايته عبر التفرع الذي أسس له حقل اللسانيات العامة ضمن ما كانت تناوله من موضوعية في دراسة الأنظمة اللسانية، حيث فرقت بين علم الأصوات أو الفونيطيقا phonétique والفونولوجيا وجاء التوزيع على النحو الآتي:

يتفرع حقل علم الأصوات العام إلى ثلاثة مجالات معرفية يمكن أن نعتبرها من خلال الرسم

التشجيري الآتي:



موضوع الفونولوجيا

الفونولوجيا علم يهتم أساسا بدراسة الأنظمة الصوتية ووظائف الصوت اللغوي ضمن أنساق الألسن والبحث في جملة العلائق القائمة بين الوحدات الصوتية ، وكيفية تنظيم الأصوات عبر خطيتها، انطلاقا من استعانتها بالمعطيات المادية التي يستمد من حقل الفونيطيقا يسعى هذا الفرع من علم اللغة شرح وظائف الأصوات والعمليات الوظيفية الصوتية في صورة قواعد أو قوانين تعرف بقوانين الفونولوجيا،

محاور الفونولوجيا

ينهض المبحث الفونولوجي على مساءلة المحاور الصوتية الآتية:

- الصوت اللغوي
- الفونيم
- المقطع الصوتي
- التشكيلات الصوتية
- المقاطع فوق تركيبية
- النبر
- التنغيم
- نظرية التقابل والملامح التمييزية للأصوات
- الكتابة الصوتية

الصوت اللغوي

مفهوم الصوت

الصوت في المفهوم العلمي هو ظاهرة فيزيائية ، تحدث نتيجة لتصادم الأجسام فيما بينها، في وسط حامل لها، وكذا الحال بالنسبة للصوت الإنساني، الذي هو نتج لتلاق أعضاء النطق عبر دينامية الشهيقة والزفير للنقّس.

الصوت اللغوي

الصوت اللغوي هو أداء فيزيائي أيضا، يهذب منطبق العقل لذلك سمي منطوقا، وذلك عبر نظام تلفظي توافقي واجتماعي ، ومن هنا فالصوت اللغوي هو كل وحدة منطوقة يتلفظها النطاق تؤدي إلى بناء النظام اللغوي، بغرض التواصل، فاللغة عند ابن جني، هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وقد اختلف القدماء من لغويين وقراء وغيرهما في نشأة اللغة وأصلها، وكانوا في ذلك جماعات واتجاهات، وأشهر الآراء والنظرات اثنتان واحدة ترى اللغة وحيا وتنزيلا، وأخرى تراها تعلميا واكتسابا. ولكل فريق مرجعيته ففي جانب يعتمد بعض اللغويين قوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها) ويظهر جوهر الفرق في موقف كل فريق من هذه الآية، من النظر إليها لفظا أوتقديرا، على مايقول به اللغويون أنفسهم.

التصنيف الفونيطيقي للصوت اللغوي العربي

يتوزع التصنيف الفونيطيقي إلى بابين رئيسين في توصيف هيئة الصوت اللغوي ماديا، الأولى فيزيولوجية تعنى بموقعية الحدوث أو مخرج الحرف، والثانية فيزيائية تعنى بتوصيف طرائق حدوث الصوت.

مخرج الصوت اللغوي العربي

اختلف القدماء كما المحدثون في تحديد مخارج الأصوات اللغوية وأحيازها، إلا أننا قد نوافق بين التصنيفات باعتماد وصف الخليل لموقعية حدوثها على النحو الآتي :

1. الحروف الجوفية الهوائية المدية : وهي حروف المد الثلاثة (أ ، و ، ي) ولقبت بالجوفية لخروجها من الجوف كما هو مبين في باب المخرج الأول. وتلقب بالهوائية لخروج الهواء معها حال النطق بها. وتسمى أيضا في علم الصرف بحروف العلة.

2. الحروف الحلقية: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء: (ء ه ع ح غ خ)
 3. الحروف اللّهُوية: وهي الكاف والقاف (ك ق) وسميت كذلك نسبة إلى اللّهُة وهي اللّهُمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.
 4. الحروف الشّجْرية: نسبة إلى شجر الفم وهو منفتح ما بين اللّحين. واختلف في الحروف الشّجْرية فقل الجيم والشين والياء غير المدية (ج ش ي).
 5. الحروف الذّلقية: وهي اللام والنون والراء (ل ن ر). ولقبت بذلك نسبة إلى ذّلق اللسان أي طرفه ولخفتها وسرعة النطق بها.
 6. الحروف النّطعية: وهي الطاء والتاء والذال (ط ت د) ولقبت كذلك لأنها تخرج من نطع الحنك أي سقفه وهو ما ظهر في داخل الفم من الغار الأعلى.
 7. الحروف الأسليّة: وهي الصاد والزاي والسين (ص ز س). ولقبت بذلك لخروجها من أسلة اللسان أي ما دق منه. وهذه الحروف الثلاثة تشترك في صفة الصفيرو تخرج من طرف اللسان الدقيق.
 8. الحروف البين أسنانية (اللثوية): وهي الظاء والذال والتاء (ظ ذ ث). وتخرج من قرب اللّثة (بكسر اللام) واللّثة ما حول الأسنان من اللحم.
 9. الحروف الشفوية: وهي الفاء والواو غير المدية والباء والميم (ف و ب م). وسميت كذلك لخروجها من الشفتين أو من باطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا (الفاء).
- 10- الخيشومية : م ن

صفة الصوت اللغوي

تفطن العرب القدامى لهذه المسئلة، وحاولوا دراسة صفات الصامت، معتمدين على قوة الملاحظة من خلال متابعة حركية الصامت، بدءاً من تكوّنه وصدوره، وصولاً إلى الأثر الذي يحدثه في أذن المستقبل، وهو ما مكّنه من استخلاص فروق رئيسة، وأخرى ثانوية، جاءت متقابلة ومتناظرة، على نحو الجهر والهمس، الشدة والرخاوة.

وتعارف أغلب اللغويين القدامى، ومنهم ابن جني على تقسيم رئيس، وهو أن الصوت إما أن يكون مجهوراً أو مهموساً، والجهر عندهم هو صفة «للحرف الذي أشبع الاعتماد من موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت»¹، ومردّه في ذلك أنه يتم تجميع لكمية من الهواء المندفع من الرئتين، ليتم إصدارها دفعة واحدة محدثاً لدرجة عليا من الصوت.

أما الهمس فهو صفة لحرف «أضعف الاعتماد من موضعه حتى يجري معه النفس»²، وهي حركية مناظرة لسابقتها في الجهر، حيث يفتح مجال سماح لمروركمية من الهواء بالتوازي مع صدور الحرف. إلا أن هناك من المحدثين، من يقف على النقيض من ذلك، ويعتبر أن القراءة التحليلية للتراث الصوتي العربي، قد تأثرت إلى حد كبير بثقافة أخرى، و«حدس علمي مغاير تماماً، لما داب عليه عرب القرون الإسلامية الأولى، والحقيقة أن الجهر والهمس عند علماء الغرب مبنيان على دور الحبلين الصوتيين، وعلاقتهما بالتجويف الحنجري، في حين أن العرب بنوا نظريتهم على مفهوم الريح، والنفس والهواء»³ فالدراسة الصوتية الحديثة أثبتت أن الجهر والهمس *sourdité, Sonorité* هما ظاهرتان صوتيتان محكومتان بعامل اهتزاز الوترين الصوتيين، نتيجة اندفاع الهواء الصادر من الرئتين، بقوة في حالة الجهر، وضعف في حالة الهمس.

والحقيقة الفيزيولوجية تثبت أن الهمس «هو تباعد أو انفراج الوترين الصوتيين بصورة تسمح لتيار الهواء الصادر من الرئتين بالمرور من خلال التجويف الحلقي دون اعتراض، ونسي الأصوات الناتجة عن هذا الوضع بالأصوات voicelesse»⁴ والمهموسة هي (التاء، الثاء، الحاء، الخاء، السين، الشين، الصاد، الفاء، الكاف، الهاء).

والحقيقية الفيزيولوجية ذاتها تثبت أن «الصوت المجهور، إذاً هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان، ويمكن للمتكلم أن يحس به لوراعى أن يسد أذنيه عند النطق بالصوت المجهور، فإنه حينئذ يسمع الرنين، الذي تنشره الذبذبات الحنجرية في تجاويف الرأس، ويمكن أن يحس به كذلك إذا وضع أصبعه فوق تفاحة آدم، ثم نطق بالصوت، فإنه حينئذ يحس باهتزازات الوترين الصوتيين»⁵، وههنا ندرك أن الصوت المجهور، ينتج عنه تردد أعلى من الذي ينتج عن نظيره المهموس، بحكم خفته.

والقاعدة الفيزيولوجية تفسر ظاهرة الجهر بأن «انقباض فتحة المزمار وانبساطها يقوم بها المرء في أثناء حديثه، دون أن يشعر بها في معظم الأحيان، وحين تنقبض فتحة المزمار يقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر فتضيق فتحة المزمار ولكنها تظل تسمح بمرور النفس خلالها فإذا اندفع الهواء خلال

الوترين وهما في هذا الوضع يهتزان اهتزاز منتظما، ويحدثان صوتا موسيقيا تختلف درجته حسب عدد الهزات أو الذبذبات في الثانية»⁶،

وينقسم الصوت اللغوي إلى انقسامات ثانوية، تتراوح بين الشدة والرخاوة والاعتدال بينهما، «فالشديدة ثمانية أحرف، وهي: الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والذال والتاء، ومعنى الشديد: أنه الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه»⁷، فينحبس انحباسا تاما، عند موضع حدوثه، مما يؤدي إلى ضغط هوائي لمدة من الزمن، ثم ينفجر المجرى الهوائي فجأة ليفسح المجال للهواء المضغوط، فيندفع بقوة محدثا صوتا انفجاريا *plosive*.

والشديد هو مصطلح أطلقه المحدثون على هذا النوع من الأصوات حيث ذهبوا إلى أن الصوت الانفجاري يتكون «من حبس (وقف)، وإطلاق، وصوت يتبع الإطلاق»⁸، ومآله في ذلك أن الصوت الانفجاري يمر بمرحلتين "يتوقف تيار الهواء همة في المرحلة الأولى، ثم تتم عملية الانفجار، متمثلة في إرسال تيار الهواء ثانية"⁹ وهذا الاندفاع من شأنه أن يصنع انفجارا صوتيا .

ولا خلاف إذاً بين الشديد والانفجاري، و «الصفة التي تجمع بينها هي انحباس الهواء معها عند مخرج كل منها انحباسا لا يسمح بمروره متى انفصل العضوان فجأة ويحث النفس صوتا انفجاريا «¹⁰، إلا أننا نفضل استعمال مصطلح الشدة، لأنه يتماثل تماما، اصطلاحا واستعمالا، مع عامل الشدة الفيزيائي *intensité* والذي سنعتمده في الحقل التجريبي.

أما الصوت الرخو، فيقابل الشديد «إذ يجري فيه الصوت»¹¹، محتكا بالمجرى الهوائي، الذي ينسدّ انسدادا جزئيا، نتيجة لضيقه، مما يسمح للهواء بالتسرب محدثا «نوعا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى»¹²، ولهذا يسميها المحدثون بالأصوات الاحتكاكية، «*fricatives* وتتكون هذه الأصوات عندما يضيق مجرى تيار الهواء الصادر من الرئتين، في موضع من مواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكا مسموعا، كما نرى في نطق الفاء بين الشفة السفلى والأسنان العليا والتاء في مخرجها بين الأسنان»¹³، وما من شك أن هذه الأصوات ذات شدة أقل من نظيرتها الانفجارية.

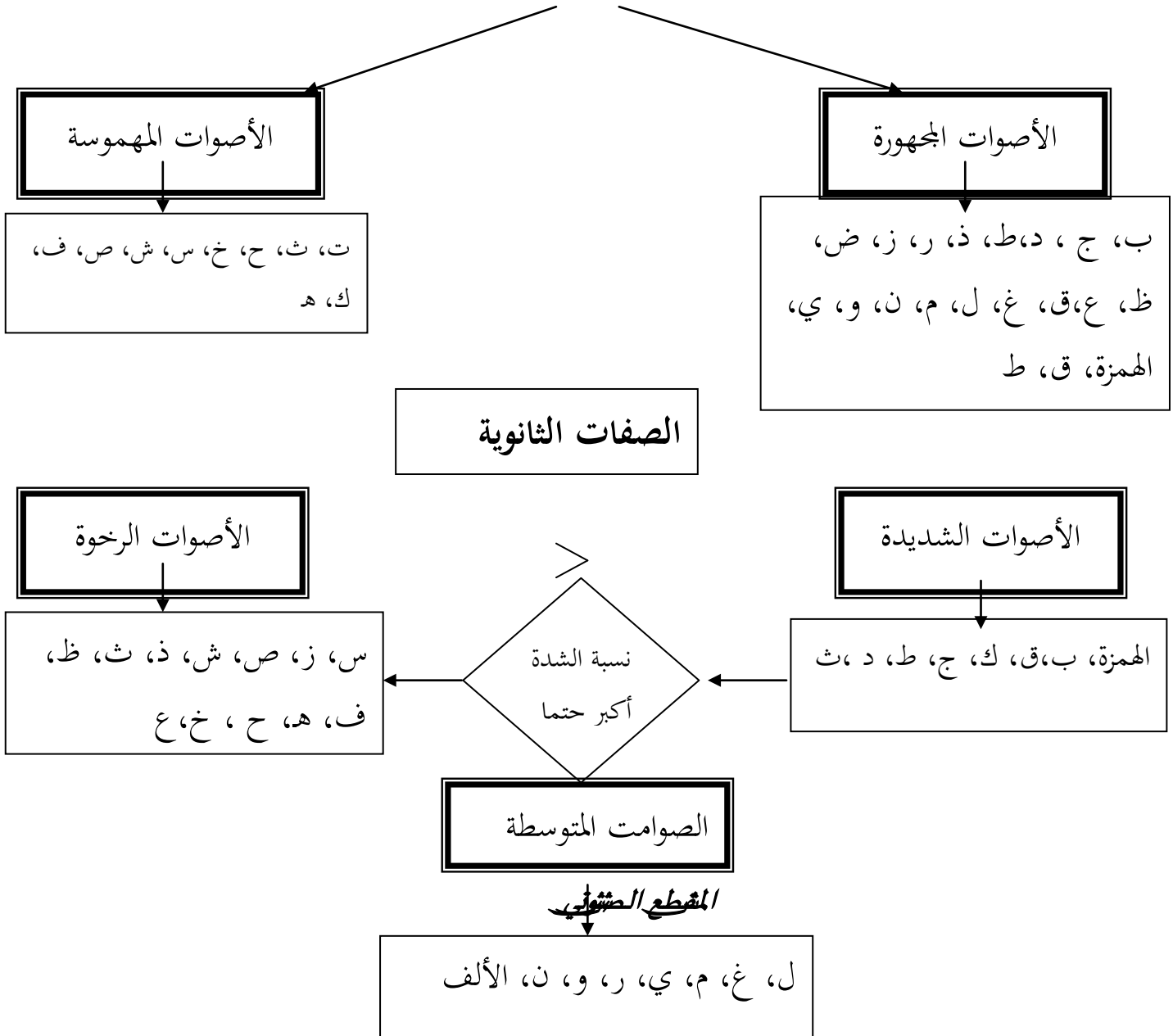
والأصوات الرخوة في اللغة العربية «كما تبرهن عليها التجارب الحديثة هي مرتبة حسب نسبة رخاوتها (س، ز، ص، ش، ذ، ث، ظ، ف، هـ، ح، خ) «¹⁴، ومعنى هذا أن صامت السين والمصنف في المرتبة الأولى، تكون شدته بأي حال، أقل من أي صامت شديد يصنف في المرتبة الأخيرة بقيمة دنيا، وهو أمر نبدي تحفظا فيه لأن إبراهيم أنيس لم يوضح الطريقة المعتمدة في هذا التصنيف.

أما المتوسطة، فهي باقي الأصوات بين الشدة والرخاوة، وهي مجموعة الصوامت المتكونة من (اللام، العين، الميم، الياء، الراء، الواو، النون، والألف). وفي وصف اللغويين لهذه الصوامت بالاعتدال، دلالة على عجزهم الجزم في كنهها الفيزيائي ففضلوا جمعها في خانة حيادية.

إضافة إلى هذا، فقد تنبه الباحثون إلى أن التصنيفات الأساسية والثانوية، والتي تقوم على نظام ثنائي تقابلي، لا تفي بغرض التصنيف كاملا، حيث أنه يقع التصنيف في حالات تتشابه وتتطابق تماما، وهو

أمر من شأنه أن يبقى على حالة الغموض في التمييز بين الصامت والآخر، على نحو صامت [الباء] وهو مجهور شديد، و[الدال] مجهور شديد. وهو ما دفع إلى وضع صفات مُميّزة، والتي بُستعان بها «عادة عندما يتداخل صوتان، ويلتقيان في الموقعية والصفات الأساسية والثانوية، حتى يصبحا متماثلين»¹⁵، واصطلح عليها بالصفات الفارقة.¹⁶

الصامت



نظرية الفونيم

تقديم

ظهر الاهتمام بجزئيات اللغة في العصر الحديث فما كان علما واحدا أصبح عدة علوم ومن ذلك "الصوتيات La phonétique" التي تشعبت بدورها إلى فروع أبرزها "الصوتيات الوظيفية La phonology" وهي تعنى بدراسة وظائف جزئيات التحليل اللغوي ومن بينها مصطلح "الفونيم Phonem" الذي نشأت نظريته بعد: ملاحظة كيفيات النطق المختلفة، ووظائف الأصوات المتنوعة، ومن محاولة وضع ألفبائيات للغات البشر المتعددة، ولعل أقدم استعمال له يعود للعالم اللغوي فرديناند دوسوسور.

يقول أندريه مارتيني: يمكن تحليل كل نص، في أي لغة صيغ، تحليلًا تامًا إلى مجموعة متتالية من الوحدات التمييزية. هذه الوحدات التي تتصف بالاستقلال، عددها محدود في كل لغة وهي تسمى في اصطلاح اللسانيات الغربية الحديثة بـ "الفونيم" وجاء في تعريفه: هو الوحدة المتميزة الصغرى التي يمكن تجزئ سلسة التعبير إليها فالفونيم بهذا، هو أصغر وحدة صوتية نصل إليها أثناء تحليل التراكيب اللغوية، ويمكن أن يكون صامتًا أو صائتًا.

وتقول عنه جاكين فيسيار: الفونيم أصغر وحدة وظيفية في النظام الصوتي أي أن تحديد الفونيم في

أي تركيب لغوي يتم على أساس وظيفي دلالي وتتمثل وظيفة الفونيمات في لغة ما في إقامة مقابلات بين كلمات هذه اللغة. فإذا ظهر صوتان في الوضعية الصوتية نفسها، ولم يكن بإمكان أحدهما الحلول مكان الآخر من دون تغيير دلالة الكلمات، أو من دون أن يتعذر التعرف على الكلمة، يكون هذان الصوتان في هذه الحالة تحقيقين لفونيمين اثنين فمثلا نجد مقابلةً أو تقابلا في العربية بين التاء والتاء حين نقول "كتب" ثم نحل محل التاء ثاء فنقول "كثب" ولا ندخل أي تغيير آخر على الكلمة، فالتاء "فونيم" والتاء "فونيم" هذا في الصوامت.

تعريف الفونيم

الفونيم من المصطلحات اللغوية التي يصعب تحديد مفهومها , وقد اختلف مفهوم هذا المصطلح باختلاف الزوايا التي نظر منها العلماء إليه , فمنهم من نظر إليه نظرة تشكيلية مادية تحدده من خلال أعضائه , ومنهم فريق نظر إلى الفونيم من خلال وجوده العقلي , وليس وجوده المادي , وهناك فريق رفض النظرة المادية والعقلية ومال ناحية المنظور التجريدي .

ونقرر هنا كمدخل للتعريف بهذا المصطلح أن الفونيم فكرة تتعلق باللغة المنطوقة , أي : بالكلام الذي يقدم دائما صورا مختلفة الأداء للفونيم الواحد , على حين أن الكتابة في أي لغة لا تستعمل سوى رمز واحد لمجموعة صور الفونيم , وهو رمز يلخص كل الصور المنطوقة . أما علماء الفونولوجيا فقد ذهبوا من منطلقهم البنوي إلى تعريف محدد للفونيم من حيث هو أصغر وحدة صوتية تسهم في تمييز كلمة ما من أخرى , نحو: ضرب/ هرب . ويعرف بأنه أسرة أصوات أو أنه وحدة وظيفية أو صورة ذهنية وهو شيء مفهومي لا يتحقق وجوده الموضوعي في الخارج , وإنما يتحقق في شكل واحد من أفراد أو أعضائه , وأعضاء الفونيمات تسمى أصوات كلامية أو فونات و ألفونات.

فعن طريق المخالفة نميز بين الكلمتين ضرب وهرب , والفونيمات في أي لغة هي ما يعرف في ثقافتنا اللغوية بالحروف أي حروف البناء , ولكن ينبغي ان نحدد هذا المصطلح حتى لا يبقى غامضا , ويرجع الخلاف في تحديد مفهوم الفونيم إلى الخلاف في مناهج البحث اللغوي بعامة , فكل واحد أو فريق من الدارسين يحدد هذا المفهوم بالوجه الذي يتمشى مع منهجه العام في الدرس اللغوي , وأهم الآراء في تحديد معنى الفونيم ما يأتي :

- الفونيم "عبارة عن عائلة من الأصوات المترابطة فيما بينها في الصفات في لغة معينة والتي تستخدم بطريقة تمنع وقوع أحد الأعضاء في كلمة من الكلمات في نفس السياق الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة نفسها" وهو رأي الإنجليزي "دانيال جونز" فالفتحات في العربية مثلا أعضاء لفونيم واحد , هي الفتحة

, بسبب اشتراكها في كثير من الصفات , ولكن أية فتحة منها لا تقع في موقع الأخرى , فالفتحة المفخمة في طاب لا تقع محل الفتحة المرققة في تاب أو العكس . فوظيفة الفونيم على هذا الرأي هي التمييز بين الكلمات ومنح هذه الكلمات قيما لغوية مختلفة , صرفية أو نحوية أو دلالية , فتقول : " قال " و " قام " فترى تبادلا بين اللام والميم , فحصل تمييز دلالي بين الكلمتين أي التفريق بين الكلمتين في المعنى , وتقول " لك " و " لك " بالفتح والكسر , فحصل تمييز صرفي نحوي , ويتبعها تمييز دلالي وتسمى نظرية الفونيم عند " جونز " بالنظرية " العضوية التركيبية " .

● الفونيم " صوت واحد له صورة ذهنية تجريدية يستطيع المتكلم استحضارها في ذهنه ويحاول أن ينطقها في الكلام الفعلي..

● الفونيمات عبارة عن الوحدات الصوتية التي لا يمكن تقسيمها إلى عناصر صوتية متتابعة من وجهة نظر اللغة المعينة التي يقوم الباحث بدراستها , وهذا رأي " تروبتسكوي " الذي نظر إلى الفونيم باعتبار وظيفته اللغوية في النظام اللغوي , ويقدم " تروبتسكوي " بعض القواعد للتفريق بين الفونيم والتنوع الصوتي من أهمها :

1 - أي صوتين في لغة ما يكونان تنوعين صوتيين اختياريين لفونيم واحد , إذا أمكن وقوعهما في نفس السياق , ويظهر تطبيق هذه القاعدة من خلال نطق بعض الناس للراء بصورة تقارب الغين العربية , ويظل المعنى المعجمي للكلمة كما هو .

2 - إذا وقع صوتان في نفس الموقع , ونتج عن تبادلهما تغيير في المعنى المعجمي , أو إيجاد كلمة لامتني لها , كان هذان الصوتان تحقيقين أو تنوعين صوتيين لفونيمين مختلفين , ومن أمثلها في العربية كلمتا " شاب " و " تاب " فنرى تبادل الشين والتاء أدى إلى تغيير في المعنى المعجمي .

3 - الفونيم " عبارة عن حزمة من الخواص الصوتية الأساسية التي يعتمد عليها في التفريق بين الوحدات الصوتية للغة ما , فالميم في العربية مثلا ينظر إليها على أنها مجموعة من السمات التالية : الأنفية والجهرية

والشفوية , وهذه هي الخواص الثلاث الأساسية الفارقة بين الميم وغيرها من الوحدات , وتسمى حينئذ فونيم الميم , إذ من الطبيعي أن تختلف السمات الفارقة في هذه اللغات , فالتفخيم في العربية مثلا صفة فارقة , ولكنه ليس كذلك في لغات أخرى كالإنجليزية مثلا , والهمس والانفجارية والشفوية حزمة فارقة في الفونيم الانجليزي ((p التي تختلف عن فونيم الباء ((b في العربية بصفة فارقة مهمة , هي الهمس في الانجليزية , والجهر في العربية .

- الفونيم لا وجود له لا من الناحية العضوية ولا من الناحية العقلية , وإنما هو وحدة تجريدية يقوم الباحث باستخلاصها من الأحداث النطقية بعد تجريدها والوصول منها إلى " كلّ " أو وحدة مستقلة .

- الفونيم وحدة صوتية تميز كلمة من أخرى , أي تقوم بالتفريق بين الكلمات من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية .

- الفونيم وسيلة مهمة في تسهيل عملية تعليم اللغات الأجنبية فالأصوات الفعلية المنطوقة في أي لغة كثيرة كثرة فائقة , في حين أن فونيمات كل لغة تقل في عددها عن عدد هذه الأصوات المنطوقة بالفعل بصورة ملحوظة .

وظائف الفونيم

تمهيد

قبل التطرق الى الوظائف التي يؤديها الفونيم ضمن خطية الكلم، يجب التفريق بين جملة التداخلات التي يؤديها الفونيم بوصفه وحدة تمييزية وتعبيرية مع الوحدات الصوتية التي تتشاكل معه في بعض الملامح الصوتية في نحو الألفون والمقطع الصوتي

الفونيم والألفون :

ما الفرق بين الفونيم والألفون ؟ لاحظ الأمثلة الآتية:

<u>الصورة الكتابية</u>	<u>الصورة الكتابية</u>
س ←	س1 ← أسفر
ز ←	س2 ← أسدل

فالسین في كل كلمة من هذه الكلمات ينطق بصورة مختلفة عما ينطق في بقية الكلمات. فيمكن أن نسمي

هذا التنوع للسین (ألفونات). فمجموع النطق الثلاثة وهي : س 1 + س 2 = فونيم السین فالكتابة واحدة،

غير أن النطق مختلف فالألفونات، هي التنوعات أو هي أفراد لنوع واحد أو نمط واحد وهو الفونيم الذي

يؤدي وظيفة في نظام اللغة

أنواع الفونيمات:

الفونيمات نوعان: فونيمات تركيبية و فونيمات فوق تركيبية

الفونيمات التركيبية: تنقسم الفونيمات التركيبية إلى قسمين:

الصوامت: وهو ما يعرف بالفرنسية بـ (consonnes) وهي الأصوات الصحيحة، الحركات : وهي ثلاثة في

العربية وبتطويلها تصل إلى ستة .

الفونيمات فوق تركيبية هي:

- النبر

- التنعيم
- الوصل والوقف

وظائف الفونيم

اتفق علماء الفونولوجيا على أن الوظيفة الأساسية للفونيم هي التمييز بين الكلمات ومنح هذه الكلمات قيما لغوية مختلفة , صرفية أو نحوية أو دلالية , فتقول : " قال " و " قام " فترى تبادلا بين اللام والميم, فحصل تمييز دلالي بين الكلمتين أي التفريق بين الكلمتين في المعنى , وتقول " لك " و " لكِ " بالفتح والكسر, فحصل تمييز صرفي نحوي , ويتبعها تمييز دلالي وتسمى نظرية الفونيم عند " جونز " بالنظرية " العضوية التركيبية " , وذهبت المدرسة الشكلانية إلى تسمية الوظيفة التمييزية الصرفية بالتحديدية, والوظيفة التمييزية الدلالية بالوظيفية التعبيرية.

المحاضرة 06 المقطع الصوتي اللغوي

مفهوم المقطع Syllabe

نبرشتي المنشورة الصوتية العربية القديمة

أجمعت أغلب المدارس والمذاهب اللسانية الأوروبية على أن المقطع الصوتي هو الأساس (*Raison*) التراتبي الذي يتحرك وفقا لبنيته المنطوق والمفوظ، بمعنى، أنه تجمّع فونيمي صومتي جوهره الصّائت الذي يصوت له، ويميزه عن باقي المجموعات الفونيمية في خطية الكلام، ولم يكن لعلماء اللّغة العربية الأقدمين إطلاع أو استعمال لمصطلح المقطع، غير أنهم كثيرا ما تكلموا عن المتحركات والسواكن وعن الأسباب والأوتاد، وذلك أثناء ملاحظتهم للواقع الصوتي للغة التي يتعاملون معها¹⁷، وهي إشارة ضمنية إلى الفواصل والوقفات التي تنظم الكلم وتوزعه إلى وحدات تصويتية متميزة. وقد التفت القدامى إلى هذا التوزيع الأدائي الملازم للكلام والذي يتواتر بين نظام السكنات والحركات، وليس أدل على ذلك ، **مما** دأب عليه "الخليل بن أحمد" بتسمية « العناصر الإيقاعية للشعر بالأسباب والأوتاد والفواصل »¹⁸ ومرد ذلك المظهرية التطريزية المنظمة للكلم والمحدثة للأوزان التي تحكمها.

غير أن فهم "الفارابي" في القرن السادس للهجرة للمقطع جاء متوافقا إلى حد بعيد مع التوجه الحديث، إذ أورد تعريفا اصطلاحيا للمقطع يدنو كثيرا من التعاريف التي اعتمدت في المدارس اللسانية الحديثة، حيث ذهب إلى أن المقطع هو « كل حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصيره فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قبل أن يسمونه المصوتات القصيرة حركات، وكل حرف لم يتبع بصوت أصلا وهو يمكن أن يقرن له فإنهم يسمونه الحرف الساكن، وكل حرف غير مصوت طويل فإنه يسمى المقطع الطويل »¹⁹، ولعل جوهر الطرح عند "الفارابي" هو تطرقه إلى مسألة النواة *noyau* التصويتية التي يرى فيها أساسا يحرك المنظومة المقطعية في الكلام، حيث يشير بوضوح إلى أن التوقعات التي يأخذها المصوت القصير والطويل، بمعنى الحركة القصيرة والطويلة هو سبب مباشر ورئيس في إحداث المقطع الكلامي وتميزه النوعي.

2- المقطع في الدراسات اللسانية الحديثة

إن الرأي الذي نحاه المحدثون ينم عن تباين في الرؤى واختلاف في التوجهات، إذ لم يقفوا على حد توصيفي موحد يضبط معيارية المنظومة المقطعية نتيجة امثالهم لازدواجية الطرح الصوتي القائم على التفرع إلى اتجاه صوتي عام "*phonétique*" واتجاه وظيفي "*phonologie*".

وقد جاء الطرح الفونيتيكي ماديا أكوستيكيًا، يسم المقطع بخصائص موجية يتمظهر بها في البنية، فأحال المقطع إلى « تتابع من الأصوات الكلامية له حد أعلى أو قمة إسماع طبيعية تقع بين حدين أدنيين من

الإسماع»²⁰ أو أنه « قطاع من تيار الكلام يحوي صوتا مقطوعا ذا حجم أعظم، محاطا بقطاعين، أضعف أكوستيكيا»²¹ على حد رأي "meleviski".

ومن اللغويين من ركّز أكثر على الناحية الفيزيولوجية، فعرف المقطع بأنه « نبضة صدرية، أو وحدة منفردة لتحرك هواء الرئتين لا تتضمن أكثر من قمة كلامية أو قمة تموج مستمرة من التوتر في الجهاز العضلي النطقي أو نفخة هواء من الصدر »²²، حيث علل للمقطع بكيفيات الحدوث، بتوصيف الكيفية التي يوظف فيها الإنسان لكميات الهواء المحدثه للكلام، وهو طرح منطقي ومقبول.

أما الاتجاه الفونولوجي، فقد انعطف إلى التقديم للمقطع انطلاقا من مجموع الوظائف التي يؤديها في الصيغة النسقية، بوصفه الوحدة التي يمكن أن تحمل درجة واحدة من النبر في اللغات المنبورة أو نغمة واحدة في اللغات النغمية، فهو « وحدة تحتوي على صوت واحد إما وحده أو مع سواكن بأعداد معينة وبنظام معين»²³. غير أننا لا نقع على تقديم فونولوجي أوضح مما جاء به اللغوي "دي سوسير" والقائل بأنه وحدة أساسية « يظهر بداخلها نشاط فونيم الوظيفي »²⁴. ومؤداه هنا، هو مجموع الوظائف التعبيرية والتمييزية والتحديدية التي تؤديها الوحدات الصوتية الصغرى غير الدالة في منظومة النسق.

وضمن هذا المعطى، ندرك أن التحديد المفاهيمي للمقطع بُني على منظورين، أولهما مادي يُعنى بالإشارة الأكوستيكية التي يحدثها صوت الملفوظ، وثانيهما نسقي يراعي خاصية اللغة، « فالاتجاه الفونولوجي الدقيق لابد أن يكون خاصا بلغة معينة أو مجموعة من اللغات ولا يوجد تعريف فونولوجي عام »²⁵ غير أن الخصيصة اللغوية لا تؤدي دورا تحديديا للمقطع بقدر ما تسهم في تحديد نوعه العرفي ومن ثم وظيفته النغمية أو النبرية التي تتعالق رأسا مع التشكلات الدلالية للملفوظ.

تعريف المقطع

لقد عرف مصطلح "المقطع" عند اللغويين القدامى لكن بمعان مختلفة فابن جني مثلا يقول عنه: (

اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين مقاطع

تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا) وهو يقصد بالمقاطع هنا العوائق التي

توقف الصوت عن جريانه واستطالته في مكان معين وهي ما تمت تسميتها فيما بعد بالمخارج، ونجد هذا

المعنى متقاربا مع ما جاء به ابن خفاجة في قوله: (والحروف تختلف باختلاف مقاطع الصوت) أي عوائقه

ومخارجه.

وقد أشار إخوان الصفا إلى مصطلح التقطيع في قولهم: (الكلام صوت بحروف مقطعة دالة على معان

مفهومة عن مخارج مختلفة) لكنهم أرادوا به الحروف المفردة، يخالفهم في ذلك الجاحظ وإن كان قد استعمل

نفس مصطلح التقطيع، إلا أنه عنى به تجزئة الكلام في قوله: (الصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به

التقطيع، وبه يوجد التأليف ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف) أي لا يصح تأليف الكلام إلا من حروف قابلة للتجزئة وإعادة التركيب.

وهناك فئة أخرى عرّفته بما يقارب المعنى الحديث كالفارابي في قوله : (كل حرف غير مصوت أُتبع بمصوت قصير قرن به فإنه يسمى "المقطع القصير"، والعرب يسمونه "الحرف المتحرك"، من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات ... وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل، فإننا نسميه "المقطع الطويل") فهو يشير إلى أن المقطع إنما هو اقتران حرف غير مصوت (صامت) بحرف مصوت (صائت) سواء أكان هذا الصامت قصيرا أم طويلا. ويشاركه في هذه النظرة كل من ابن سينا وابن رشد ودراسة هذا الأخير أقرب إلى روح الدرس الصوتي الحديث، وغير هذا ممن درس المقطع من العرب القدامى كثير، كُلٌّ وحسب نظرته إليه. أما مفهوم المقطع عند المحدثين فهو: (وحدة لغوية أصغر من الكلمة، وأكبر من الحرف) أي أنه يتوسط الحرف والكلمة، وبمعنى أدق هو: (شكل من أشكال تجمّع الفونيمات وتوزّعها في الكلام بين صامت وصائت) أي توالي صامت وصائت معا إذ لا يصح التصويت الدال بأحدهما دون الآخر.

وهناك من عرّفه بأنه: (نبضة صدرية، أو وحدة منفردة تحرك الرئتين، ولا تتضمن أكثر من قمة كلامية، أو نفخة من هواء الصدر) فهو يتكون بين ارتفاع وانخفاض صدر واحدة، و يبدو أن كلا من هذين التعريفين يتناول المقطع من زاوية نظر مختلفة، فالأول يصف الجانب اللغوي المكتوب أو الفونولوجي من المقطع ويسمى المقطع اللغوي، والثاني الجانب التصويتي المسموع أو الفيزيائي منه ويسمى المقطع الصوتي. المقطع: أقل وحدة صوتية يمكن النطق بها؛ أي يمكن الابتداء بها أو يمكن السكوت عليها. وعرفه دانيال جونز: «نظريا المقطع يتكون من سلسلة من الاصوات التي تحتوي على قمة بروز»

المقطع : ليس هناك حتى الآن تعريف واحد متفق عليه , ومع ذلك يمكن القول بشيء من التجوز إن المقطع من حيث بناؤه المثالي أو النموذجي أكبر من الصوت (sound) وأصغر من الكلمة , وإن كانت هناك كلمات تتكون من مقطع واحد مثل (من) بفتح الميم أو كسرهما .

والمقطع له معنيان :

● يقول ابن جني : هو قطع الهواء أو وقوفه كلياً كما في الأصوات (الوقفات) أو جزئياً كما في الاحتكاكيات ويتحقق قطعه من مخرج معين أو عند مقطعه .

● يقول الفارابي : كل حرف غير مصوت (صامت) اتباع بمصوت قصير (حركة قصيرة) قرن به , فإنه يسمى (المقطع القصير)

والعرب يسمونه الحرف المتحرك , من قبل ان يسمون المصوتات القصيرة حركات وكل حرف لم يتبع بمصوت طويل فإننا نسميه (المقطع الطويل) اذا فالفارابي من الآخذين بالمنهج الفنولوجي (لا الصوتي المحض) الذي ينظر الى المقطع ويعرفه من حيث بنيته ومكوناته في سلسلة الكلام .

سبب اختلاف العلماء في تعريف المقطع تعريفاً علمياً عاماً يرجع إلى أمور :

● منهم من نحا نحو الجانب الصوتي المحض أي النطقي إلى فريقين :

ففرق اعتمد بعض الآخذين بهذا الرأي على العامل الفسيولوجي أو العضوي للنطق فعرفوا المقطع بأنه خفقة صدرية .

وفريق ثان اعتمد في تعريف المقطع على الجانب السمعي للكلام . وفريق ثالث أخذ بالجانب (الاكوستيكي) في تحديد المقطع وتعرفه , وهذا المعيار يصعب الاعتماد عليه .

● ومنهم من اعتمدوا الجانب الفنولوجي معياراً للحكم أي الجانب الوظيفي للمقطع ودوره في بناء الكلمة في اللغة المعينة .

خصائص المقطع في العربية :

● أن المقطع في العربية يتكون من وحدتين صوتيتين (أو أكثر) إحداهما حركة .

● المقطع لا يبدأ بصوتين صامتين , كما لا يبدأ بحركة .

- لا ينتهي المقطع بصوتين صامتين الا في سياقات معينة , أي الوقف أو إهمال الاعراب .
- غاية تشكيل المقطع اربع وحدات صوتية (بحسبان الحركة الطويلة وحدة واحدة) .

المحاضرة 07 التوزيع الخطي المقطعي

المقطع الخطي أو النسقي

ينهض التوزيع المقطعي للغة العربية على عاملين أساسيين، أولاهما كيفي أو نوعي يرتبن إلى طبيعة التصويت حيث يتراوح بين الانغلاق والانفتاح، وثانيهما كمي يحتكم إلى عاملي الطول أو زمن النطق، فنجدته يتحرك بين القصير والطويل.

التشكل المقطعي

ويتكون المقطع من «اتحاد صامت أو نصف صائت أو أكثر، بصائت واحد»²⁶، حيث تكون الحركة أساسا في تكوين المقطع، أما التقسيمات التمييزية، فتصنف بدلالة النوع أو الكم، إذ نقع على المقطع المفتوح "ouvert" الذي يأتي منتهاه صائتا، ويحيى المقطع المغلق "syllable fermé" ويسمى أيضا المقفل أو الساكن أو المعوق²⁷ مغلقا بصامت أو ساكن في منتهاه. كما يخضع التقسيم الكمي إلى قرينتي الطول والقصير في الترتيب الخطي للأصوات اللغوية باعتبار الصائت والحركة، حيث نخلص إلى مقطعين قصيرين نمثلهما بـ /ص ع / أو /ص ع / كما نخلص إلى مقطعين متوسطين : /ص ع ص /، /ص ع ع / ومقطعين طويلين /ص ع ص ع ص /، /ص ع ع ع ص /.

ولئن أتيح للباحثين وعلماء الصوت إمكانية التوزيع المقطعي للكلام بيسر، نتيجة الاستدلال بتواتر الحركة والصائت في البنية الكلامية، فإن الولوج للوحدات فوق المقطعية "supra-segmentaux" أو التنغيمية "supra-prosodique" لم يكن بالأمر الهين، لأنها متغيرات ترنيمية تخضع لعوامل نفسية ولهجية وفيزيولوجية تلازم الكلم ولا تحتفظ بوحدة تصويتية ثابتة.

أنواع المقاطع الصوتية النسقية في اللغة العربية

أنواع المقاطع:

- 1- صامت + حركة (ص ح)
- 2- صامت + حركة + حركة (ص ح ح)
- 3- صامت + حركة + صامت (ص ح ص)
- 4- صامت + حركة + حركة + صامت (ص ح ح ص)
- 5- صامت + حركة + صامت + صامت (ص ح ص ص)

تعقيب على التقسيم النوعي للمقاطع الصوتية

يتكون المقطع من «اتحاد صامت أو نصف صائت أو أكثر بصائت واحد»، حيث تكون الحركة أساسا في تكوين المقطع، أما التقسيمات التمييزية، فتصنف بدلالة النوع أو الكم، إذ نقع على المقطع المفتوح "*ouvert*" الذي يأتي منتهاه صائتا، ويحيى القحطع المغلق "*syllable fermé*" ويسى أيضا المقفل أو الساكن أو المعوق مغلقا بصامت أو ساكن في منتهاه. كما يخضع التقسيم الكمي إلى قرينتي الطول والقصر في التراتب الخطي للأصوات اللغوية باعتبار الصائت والحركة، حيث نخلص إلى مقطعين قصيرين نمثلهما بـ /ص ع/ أو /ص ع/ حيث ع ص // ص // ع // كما نخلص إلى مقطعين متوسطين : /ص ع ص/، /ص ع ع/ ومقطعين طويلين /ص ع ص ص/، /ص ع ع ع/.

المدرسة الوظيفية "مدرسة براغ"

تعود الجذور الأولى لتأسيس مدرسة براغ الوظيفية إلى العالم اللساني التشيكي " ماثيسوس Mathesius الذي سعى جاهدا إلى دراسة اللغة بشكل مغاير وجديد تختلف عن الدراسة التاريخية ، إذ يعد بذلك من المؤسسين لعلم اللغة الوصفي (اللسانيات) والتي ظهرت بشكل مستقل على يد "دي سوسير" منذ قدم محاضراته في سويسرا في 1911 وكذلك جهود "فرانز بواس" Franz Boas في أمريكا .
ومثل المدرسة الوظيفية قطبان :

أ. التشكيون : إضافة إلى " ماثيسوس" نجد " ترنكا" B.Tranka ، " هافرانك" Havranek و " فاشيك" J.Vachek .

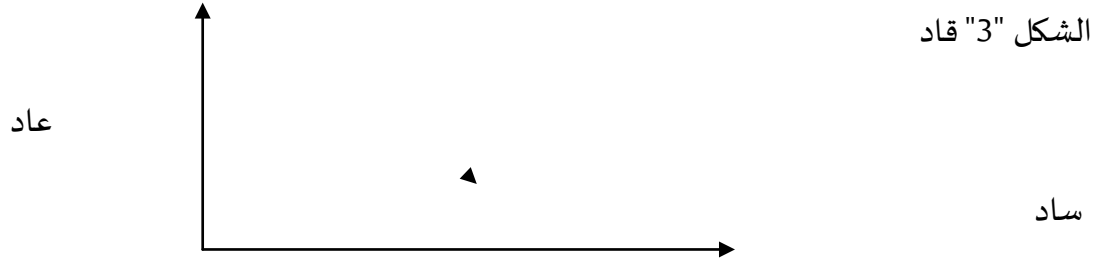
ب. اللسانيون الروس : "تروسكوي" و "كارسفي" ويضاف إليهم "رومان ياكبسون" ذو الأصل البولندي.
وسميت بالوظيفية لأن الباحث هو الذي يسعى إلى الكشف عن القطع الصوتية التي تؤدي وظيفة داخل التركيب وهو بذلك يبحث عن الوحدات التي بإمكانها تغيير المعنى كلما استبدلت بأخرى . فتغير معنى الوحدات اللغوية دليل على أن لها وظيفة . والمعنى والوظيفة . إذا . هما جوهر إهتمامات المدرسة الوظيفية الأوروبية .
وعليه فالتحليل اللساني تحليلًا وظيفيًا يتوجب حصر مجموعة من الوحدات اللغوية مرتبة ترتيبًا وفق الشبه والاختلاف (أي يقابل بينهما) حتى تتضح له الفوارق التي تعكس قيمتها الوظيفية ، ومثال ذلك : الشكل .

المعلم	قال
المعلم	سكت
المعلم	شرح
المعلم	كتب

المعلم	سأل
المعلم	أجاب

إن الملاحظة السريعة لمحتوى الشكل على المستوى الإفرادى تظهر أن هناك ست وحدات لسانية مختلفة من حيث البناء ، وإن هذا التقابل هو الذي يعكس الفوارق الدلالية بينهما ، الشيء الذي يدل لما سبق ذكره أن لكل كلمة وظيفة داخل التركيب .

الشكل "3" قاد



وينطبق هذا المنهج نفسه على المستوى الصوتي فمثلا لو أتينا على تقطيع ألفاظ الشكل (3) إلى أصغر الوحدات غير الدالة إلى "فونيمات"

/ق/: لهوي + مجهور + شديد + مستعلي .
/ع/: حلقي + مجهور + بيني .
/س/: أسناني + مهموس + صفيري .(2).

فهذا التقابل بين الفونيمات على مستوى الصفة و المخرج يدل لوظائفها ومدى قدرتها على تغيير معاني هذه الكلمات وهذا ما وجدناه عند "أحمد مومن": "فالصوت أو الفونيم هو أصغر وحدة صوتية تعين صاحب اللغة على التفريق بين المعاني " ولا يفوتنا أن نشير إلى أثر ثنائية "دي سوسير" "اللغة والكلام" الوظيفية التي قابلت الكلام بمصطلح الذي يدرس أصواته وقابلت اللغة بالفونولوجيا التي تدرس وظيفة هذه الأصوات.

نظرية التقطيع المزدوج

تمهيد

يقول د/أحمد مومن: "إذا كانت مدرسة براغ قامت بفضل الصوتيات الوظيفية (Phonology) عن الصوتيات ، فإن مارتيني ساهم مساهمة فعالة فيإزالة هذا الفصل وعد الفونولوجيا نوعا من الفونتيك الوظيفية (...). ويهدف "مارتيني" من وراء نظريته إلى تفسير تطور اللغة بإستعمال مصطلحات بسيطة لا غموض فيها مثل : اللغة (Langue)والجملة (Phrase)، والفونيم والسمة المميزة (Pertiment Trait) واللفظ (Monéme) أو الوحدة الصرفية التي تقابل المورفيم في بعض النظريات الحديثة الأخرى.

أما عن هدفه من التحليل الفونولوجي فأريد به تشخيص العناصر الصوتية وتصنيفها حسب وظيفتها في اللغة ومنه راح "مارتيني" حسب " أحمد مومن " : " وعلى هذا الأساس ميّز بين ثلاث وظائف أساسية : (أ) الوظيفة التمييزية (distinctive) أو المصادرة التي تمكن منها السامع من معرفة أن لفظة معينة عوض لفظة أخرى نطق بها المتكلم ، (ب) : الوظيفة الحاصلة (Démarcative) التي تمكن السامع من تحليل القول إلى وحدات متتابعة ، (ج) : الوظيفة التعبيرية (Expressive) التي تعلم السامع عند الحالة العقلية أو الفكرية للمتكلم " .

فأندري مارتيني ينظر إلى اللفظة من حيث إستقلالها تركيبيا وموقعا داخل نفس التركيب من خلال الوحدات الوظيفية ويعد مارتيني الإمتداد الطبيعي لتروبسكوي لانه ينظر إلى اللفظة من حيث إستقلالها تركيبيا وموقعا داخل نفس التركيب من خلال الوحدات الوظيفية (3) والتي إستخدمها في نظريته لعلم التركيب .

التقطيع المزدوج : ولما كانت السمة البارزة التي تنماز بها اللغة البشرية قابلة للتقطيع المزدوج وهو التقطيع الذي يطال المتواليات اللسانية ومرد ذلك أن عملية التلفظ مبنية على مستويين . حين التلفظ . من حيث تركيب وبنية تلك الألفاظ :

-مستوى تكون فيه الألفاظ . المقاطع الصوتية . ذات دلالة أي لها معنى مستقل تؤديه في تركيب الكلام ونسبي هذه المقاطع الصوتية ذات الدلالة "بالمونيمات" ومفردها "مونيم" Monème وهو أصغر وحدة صوتية ذات دلالة (أقل ما يمكن النطق به وله دلالة) مثلا : "تحررت فلسطين" .

. فالفعل " تحرر " مونيم .

. وتاء التأنيث " ت " مونيم لأنها أدت دلالة التأنيث .

. وفلسطين " مونيم " .

وعلى هذا المنوال يمكن تفسير الكلام إلى وحدات دالة . مونيمات . ويختلف عددها من متوالية لسانية لأخرى (من جملة لأخرى) ، وهذا المستوى الأول من ازدواجية التقطيع يفيدنا في التعرف على الوحدات الدالة مفردة داخل التركيب (تركيب الكلام) فندرسها ووضعها فيه ، وكل ما يعتريه من تحولات وهذا ما يقابل علمي الصرف و النحو .

أما المستوى الثاني من التقطيع اللغوي فهو يعتري المونيمات أي تقطيع المونيمات في حد ذاتها إلى وحدات صوتية صغيرة تمييزية (*) غير دالة و غير قابلة للتقطيع وهي التي تعرف بالفونيم Phoneme وهو أصغر وحدة صوتية غير دالة تمييزية ولا تقبل التقطيع إلى وحدات دونها .

إن لهذا المبدأ قيمة لسانية ذاك أنه يمنح اللغة القدرة على التعبير عن اللامتناهي من الأفكار والمعاني المجردة بواسطة هذا العدد المحصور من الفونيمات (الحروف والأصوات اللغوية) وهذا ما يؤسس مفهوم الإقتصاد

اللغوي في اللسانيات (L'économie L'inguistique) .

" وقد كان مارتيني أكثر شجاعة من ضميره حيث قال : " إنه من الممكن أن نصنف النظام الفونولوجي لأي لغة

دون استعمال المصطلح " فونيم " ، من الممكن حفظ الاحتمالات التصاحبية المتزامنة والمتعاقبة للملامح

الملائمة " ، ولهذا ، عن مارتيني أنه اعتبر كأساس للتحليل الفونولوجي اعتبر الخاصة المعينة أو الملائمة

Relavant Feature ولم يعتبر الفونيم ، وقد ذكر " أن الخاصة المعينة هي العنصر الوحيد الذي يسلم له

بالوجود الحقيقي " .

المحاضرة الثامنة -10- الفونيمات فوق التركيبية

تمهيد

إن جوهر الانعطاف الإجرائي الذي عرفه الطرح البنوي لدى مارتينيه *martinet* وجاكوبسون *yakobson* أسست له القفزة النوعية التي عرفتها الدراسات اللسانية الحديثة، والتي توخت الوقوف على العلائق التي تربط بين الخاصية المادية للصوت والوظيفة التي يؤديها داخل التشكلات الكلامية، بخاصة الوظائف الدلالية منها، مما أرغم دارسي الفونيتكا على إعادة النظر في طرائق البحث عن خصائص الصّوت اللغوي وطبيعة تكونه قبل الولوج إلى وظيفته، ولم تكن نظرية الفونيم عند تروبسكي *Trobtskoy* ونظرية التقابل الألفوني من بعدها إلا نتاجا لمجموعة من الإدراكات المتلاحقة لأسرار الصّوت الإنساني استنادا إلى سلطة الآلة والتقنية المتجددة، بيد أن هذا التحول الإدراكي لم نشهد له النقلة المتوخاة في الدرس الصوتي العربي، الذي ظل حبيس الأخذ الوصفي والتمثل المعياري لآراء النحاة.

ولئن كانت القيم العددية المتحصل عليها في علم الأصوات الأكوستيكي من أبعاد كمية للاهتزاز والشدة ومدد النطق، قد مكنتنا من الفصل في بعض مسائل التصنيف الفيزيائي للأصوات اللغوية، فإن القراءات الطيفية التي أحاطت بالحزم الصوتية قد أتاحت لنا إمكانية المعالجة العيانية لهيئات الملفوظ الموجية، بخاصة النظام المقطعي الذي يسير نسقية الفونينيمات فوق تركيبية. وهو ما يدل على أننا أمام إمكانية متجددة تتوق إلى الكشف عن بعض المسائل الخلافية التي لحقت بالبنية اللغوية المنطوقة، وهي مسائل صوتية لا تنشأ التقدير العددي بقدر ما تدعو إلى البرهنة الفيزيائية لحالات تولّدها وتكوّنها، على غرار ظواهر النبر والتنغيم، والتفخيم والترقيق، والإيقاع، وهي ظواهر لا تقف عند حدود التشكل اللفظي المادي، وإنما تتعداه إلى التأثير والإسهام في توجيه دلالة الخطاب المنطوق.

ولئن أتيح للباحثين وعلماء الصّوت إمكانية التوزيع المقطعي للكلام بيسر، نتيجة الاستدلال بتواتر الحركة والصّائت في البنية الكلامية، فإن الولوج للوحدات فوق المقطعية *supra-segmentaux* "أو

التنغيمية "*supra-prosodique*" لم يكن بالأمر الهين، لأنها متغيرات تنغيمية تخضع لعوامل نفسية ولهجية وفيزيولوجية تلازم الكلم ولا تحتفظ بوحدة صوتية ثابتة.

غير أن هذه العلة لم تقف عائقا أمام الألسنيين لاعتمادهم على التمظهر المادي والنفسي في تحديد الملحظ فوق المقطعي استنادا إلى رأي اللساني ويتني *Whitney* الذي يؤكد « أن الكلمات ما هي إلا إشارات فيزيائية للأفكار » بالدرجة الأولى، وأن الحمولة الدلالية التي يتضمنها الصوت، ليس لها أن تتخلص بشكل مطلق من الأثر الفيزيائي الذي ينقله المنطوق، فالغبطة غير الفزع، والراحة غير القلق، والإقرار غير الاستفهام، والذم غير المدح، والاستفهام غير التعجب، وكلها عوامل نفسية تحاكي الدليل الصوتي الموافق له، وهو ما يتوخاه الباحث بتقفي الأثر المادي بشكل أو بآخر من خلال القراءة المتأنية والمتأملة باستجلاء الصورة الطيفية.

إن الفتور الذي أبدته الجهود الفونولوجية في إيجاد طرائق ناجعة لتقفي أثر الفونيمات فوق المقطعية بخاصة في اللغة العربية، يدل على مدى الانعطاف الإجرائي الذي عرفته الدراسة الصوتية عند الكثير من المعاصرين، الذين سعوا إلى إيجاد بدائل حقيقية في البحث، يتقدمها بديل المعالجة الآلية للكلام، انطلاقا من أن « تكشف بعض الخصائص الأكوستيكية من خلال الصورة الطيفية لموجة الصوت، كفيل بتبيان الاختلافات التنغيمية التي تلازم الكلام»، فعلى الرغم من الاختلافات التي تلازم المنطوق من حيث الطابع *Timbre*، بين متكلم وآخر قد شكل حاجزا مهما أمام استخلاص نتائج معيارية، إلا أن السمات الأكوستيكية التي تولدت عن بعض الظواهر النطقية تُعد مشتركة وثابتة في أغلب الأحوال، وتأتي العوامل الأكوستيكية الأكثر إشارة وتديلا على « التبدل النغمي الذي تمثل له هيئات الحزم الصوتية والزمن والشدة»، انطلاقا من أن تشكل الحزم في الصورة الطيفية هو تعبير مباشر للتغير التنغيمي الذي تدلّ له درجات الصّوت الأساسية والتوافقية، كما أن قوة الوقع الذي يحدثه الصّوت تعكسه القيم المتبدلة لعلو الصّوت الذي نستشفه من قيم الشدة، أما الأبعاد الكمية لأنواع المقاطع، فلنا أن نستخرجها مباشرة من الفروقات الزمنية لكل مقطع على حدى.

وقد كرسّت المدرسة البنوية الشكلانية هذا الاهتمام من خلال أطروحات كثيرة، على غرار ما جاء به "هال *Hall*" الذي أشار إلى جملة التأثيرات التي تحدثها ظاهرتي النبر "*accent*"، والتنغيم "*intonation*". في البنية وذلك في تشكيل الدلالة .

تمهيد

النَّبر في مفهومه الفونولوجي فونيم فوق مقطعي يتمثل في كل صيغ الملفوظ، وتحيلنا التركيبية الصوتية للمصطلح إلى مفهوم الظهور والبروز فقد « أثبت الاستقراء، أنَّ كلَّ صيغة مبدوءة (بنون بعدها باء) تدل على عموم الظهور في مثل (نبر، ونبغ، ونبت) وجاء فونيم النبر وظيفيا دلالة على الظهور والبروز» الذي يسم المقاطع ذات القمم السمعية الأكثر علوا ، بفعل « الضغط على مقطع معين من الكلمة لجعله بارزا وأوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة »، وضمن هذا المعطى العلمي، الذي يشير بوضوح إلى العلاقة القائمة بين ظاهرة النبر وفعل الضغط الذي هو عامل فيزيائي يقوم على مقدار القوة والطاقة الموظفة من الناطق على الوحدة المقطعية، تعد المقاطع المنبورة « أوضح في الإسماع من غيرها » ومن هنا، ندرك أن تكشف هذه المقاطع قد يحصر من خلال تتبع للمقاطع ذات القيم الكبرى في مقدار الشدة من خلال القياس المباشر لنطاقات النطق . وهي آلية لم تكن متوافرة عند القدامى ولم تلق المراس من المحدثين وبقيت الأحكام الذوقية سائدة ومهيمنة، مردهم في ذلك إلى أن «كل الحالات لا تزيد النبر عن كونه توضيحا لكمية صوتية من غيرها، وليست له ضوابط غير الذوق والطرب والعادة، وأنه توضيح من جهة وثقل من جهة أخرى، وفي توظيفه قوة وضعف»، وهي توصيفات تتكئ في غالبيتها على المقاربة الشكلية، حيّدت التعامل الموضوعي مع الفونيم.

فونولوجيا النبر

لم يُسجل للعرب اهتمامات بحثية عنيت بمسألة النبر، إذ لا يكاد يثير جدلا دلاليا في اللغة العربية بخلاف اللغات الأخرى التي يؤدي فيها النبر وظيفية تمييزية تحيل على دلالات متباينة. ولذا غدا مطلب الاهتمام لآلية إجرائية محددة للمقطع النبري بصريا أكثر إلحاحا. وعلى الرغم من الاختلافات البينية التي ظهرت في جملة الطرائق المقدمة إلا أن أغلبها يتفق على أن تحديد المقطع النبري تكون فيه « الأسبقية دائما

للمقطع الأثقل وذلك ابتداء من نهاية الكلمة «. وبمقابلة هذا الرأي على طبيعة البنية المقطعية في اللغات اللاتينية، نخلص إلى أنه في الحال الغالب « المجال النبري (*Zone accentuelle*) لا يتعدى المقاطع الثلاثة الأخيرة عدداً من نهاية الكلمة «، وقد عمد رواد الدرس الصوتي الغربي إلى قراءة فونولوجية ميسرة بفعل طبيعة التركيب الفونيمي في اللغة اللاتينية، فالمقطع الطويل يحمل حتما توليفة أكبر من الصوامت، وعليه فإن الكمية الصوتية الموظفة تكون حتما أعلى. أما عن الاعتماد على الاستهلال في تتبع المقاطع الأكبر ابتداء من منتهى الصيغ، فجاء من منطلق « أن المقاطع النبرية تتراتب في الجملة بشكل تلقائي، وفي أكثر الحالات يكون المقطع الأخير الأكثر نبرا» حيث يوقع الناطق الضغط على منتهى الكلمة بشكل طبيعي لأنه، لا يتقيد بأزمان نطق الوحدات المبدئية والوسطية، ويتجه إلى وضع الراحة التصويتية كلما اقترب من نهاية الكلمة.

ولم يحد التوجه الوظيفي عند المحدثين العرب في تحديد المقاطع النبرية في اللغة العربية عما قدمه الغرب، استنادا إلى العلل ذاتها في البرهنة، حيث اتفقوا على أن موقعية المقطع النبري تأتي حتما في منتهى اللفظة أو الجملة، كما أنها تقع حتما على المقاطع الأكبر والأطول. وعليه فإن متبع المقطع النبري عليه أن يستهل من منتهى الصيغة أو الجملة إلى أن يقع على المقطع الطويل الأول في التراتب وتجيء الأولية في طول المقاطع على النحو الآتي:

/ص ع ع ص/، /ص ع ع/، /ص ع ص ص/، /ص ع ص/

/ص ع/ المضعفة علة نحو/الحجّة/ فالنبريقع على /ص ع/ من /ج/

/ص ع / المقطع القصير الأول من الصيغة المكونة من المقاطع القصير فقط

تشكل المقطع النبري

إن التحليل الفونولوجي المعتمد يركز على محورين أساسين، أولاهما هو تتبع الأثر الكمي للمقاطع الصوتية، وثانيهما مرهون بالجانب الإدراكي السمعي، الذي تحدده القراءات الذهنية والنفسية، من خلال الأثر الفيزيائي الذي تحدثه المقاطع في الأذن. فأيا كانت التعاريف التي لازمت النبر، فإنه لا يعدو أن يكون

وضوحاً نسبياً «لصوت أو مقطع، إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، والمقطع المنبور بقوة ينطقه المتكلم بجهد أعظم من المقاطع المجاورة له»، وحينما نعنى بمسألة القوة، فإننا نلج عالم التكميم لظاهرة مادية فيزيائية، مؤداها القدرة والاستطاعة، يُدلل لها بالقانون والحساب الفيزيائي لأبعادها . ووفق هذا المعطى.

أقسام النبر

يمكن تقسيم النبر إلى ما يأتي :

❖ أولاً : النبر الجملي _، وهو: ضغط نسبي على كلمة من كلمات الجملة أو على ما كان في حكم الكلمة الواحدة ليكون ذلك الجزء المضغوط أبرز من غيره من أجزاء الجملة.

❖ ثانياً : النبر الكلمي _، وينقسم على :

أ - نبر الشدة، وهو: ضغط نسبي يستلزم علواً سمعياً لمقطع على غيره من المقاطع، ويسمى باحثون آخرون هذا النوع من النبر (النبر الزفيري) و(نبر التوتر) أو (النبر الديناميكي)، وهي تسميات تشترك في دلالتها على قوة النفس عند النطق بالمقطع المنبور.

وموضع نبر الشدة من الكلمة هو المقطع، ويقع عند كثير من الباحثين تساهل بنسبة هذا النوع من النبر إلى صامت المقطع لا إلى المقطع كله.

ب - نبر الطول، وهو: إطالة زمن النطق بالصوت، ويسمى باحثون آخرون هذا النوع من النبر (نبر الزمن) و(النبر الزمني)، و(نبر المدة)، و(النبر المدي) و(النبر الطولي).

وإنما يندرج في مفهوم النبر تطويل الصوت لا طوله، ومعنى ذلك أننا نُعنى -في سياق الحديث عن النبر- بالتفريق بين الطول الأصلي للصوت والطول المكتسب الناتج عن نبر الطول، وبذلك يتضح الفرق بين مفهومي (الخصائص الأصلية) و(الخصائص الطارئة) للمقطع أو الصوت.

وينقسم نبر الطول على قسمين:

أ - نبر الطول في الصوائت، وهو: إطالة زمن النطق بالصائت، مثل تطويل الألف في (رائع) أو الواو في (هدوء) تعبيراً عن غرض كلامي ما.

وللقدماء عناية ببيان هذا النبر، وإن لم يكونوا أبانوا عنه بمُسمى (النبر)، فقد وردت تسمية إطالة زمن الصائت بـ(الإشباع) و(المد) و(المطل)، وقد تطور ذلك عند التجويديين وتعددت أنواع مدود القرآن وألقابها ، وتعددت طرق قياس الصوائت عندهم ، فذكروا لقياس زمن الصائت طُرُقاً عدة .

ب - نبر الطول في الصوامت ، وهو: إطالة زمن النطق بالصامت ، مثل تطويل الحاء في (ثُحفة) أو الدال في (مُدهش) تعبيراً عن غرض كلامي ما .

وقد دعا إلى إثبات (نبر الطول في الصوامت) قسماً من أنواع النبر أمور : انطباق عموم مفهوم نبر الطول عليه ، أن إثباته تتكافأ به التقسيمات وتتناظر به أنواع النبر ، أن في كلام عدد من المعاصرين إشارة إليه وإن لم ينصوا عليه صراحة .

❖ ثالثاً : النبر الانفعالي ، وهو: ضغط على جزء من الكلمة يصاحب انفعالات المتكلم وتعبيره عن عواطفه. وأبرز مجال لملاحظة هذا النبر ما ارتبط من الكلام بالعاطفة وقصد إبرازها؛ مثل إلقاء الخطب الحماسية والقصائد الشعرية، ويخضع هذا النبر للطبيعة الفردية وقصدها التعبير عن غرض خاص .

وينبغي التنبيه إلى أن مواضع النبر التي يذكرها عدد من علماء التجويد المعاصرين، ليست من جنس القواعد العامة التي يقررها اللسانيون المعاصرون، والتي تنسب النبر إلى كل صيغة عربية على حدة، بل مواضع النبر عند علماء التجويد مختصة بإزالة اللبس وتمييز ما كان أصلاً في الكلمة عما كان زائداً فيها وحسب.

رأي بعض العلماء في النبر :

● عده بعضهم فونيميا ثانوية تأكيداً لقيمتها النسبية في بنية الكلمة .

- وحسبه آخرون (فيرث ومدرسته) ضرباً من التطريز . وهو تطريز لا يعني مجرد التجويد والتزيين وإنما يعني أنه عنصر يكسب بنية الكلمة تكاملها , ويمنحها قواماً متميزاً خاصاً بها .

درجات النبر :

أ (النبر القوي وعلامته [/]

ب (النبر الوسيط وعلامته [/]

ج (النبر الضعيف وليس له علامه .

ويصنف الأمريكان النبر إلى أربع درجات :

● الأساسي .

● الثانوي .

● الثالث .

● النبر الضعيف .

قيم النبر :

أ (قيم صوتية (نطقية) أي له اثر سمعي واضح يميز مقطعاً من آخر أو كلمة من أخرى .

ب (قيم فنولوجية (وظيفية) تقود الى تعرف التتابع المقطعي في الكلمات ذات الأصل الواحد .

وظيفة النبر على مستوى للجملة :

إفادة التأكيد أو المفارقة .

وعلى مستوى الكلام المتصل فهو يرشد الى تعرف بدايات الكلمات او نهاياتها .

يمكن تحديد مكان النبر في اللغات (اللغة العربية و الفنلندية والهنغارية والبولندية) لان النبر في هذه اللغات اما له قوانين منضبطة مطردة كاللغة العربية أو نبرها اشد ثباتا واستقرارا بلزومه مقطعا او مقاطع بذاتها في الكلمة كاللغات الفنلندية والهنغارية والبولندية .

أما اللغة الانجليزية فليس بها نظام ثابت للنبر لانها من ذوات النبر الحر.

للغات تصنيف آخر من حيث النبر :

● لغات نبرية مثل : الانجليزية والالمانية والاسبانية .

● لغات غير نبرية مثل : اللغة العربية واللغة اليابانية .

وتشترك اللغة الفرنسية مع غيره من اللغات النبرية جميعا في استخدام النبر ومواقعه ودرجاته على مستوى الجملة في اغراض بيانية خاصة كقصد التأكيد او التركيز او المفارقة .

رأي كمال بشر في اللغة العربية من حيث النبر :

يرى كمال بشر ان اللغة العربية لغة (بينية) في سلسلة اللغات النبرية وغير النبرية على مستوى الجملة .

لئن كان النبر في مفهومه أداء وظاهرة تختص بمقطع محدد من مقاطع اللفظة، «فإن التنغيم نمط لحي "melodic pattern" يتحقق بالتنوع في درجة جهة الصّوت أثناء الكلام»، والمقصود بالجهة هو المنحى الذي تأخذه خطية الجملة من تصاعد أو هبوط، وذلك بإرداف الكلام لتعبيرات موسيقية تنشدها دواخل الناطق الحسية والنفسية، حيث يلجأ الناطق إلى توظيف هذا النوع من المقاطع النغمية بدافع سيكولوجي لإحداث الدلالة المرجوة وتبianaها.

وإذا كان المتتبع لأثر هذه الظاهرة في الدراسة اللغوية العربية، لا يقع على إشارة اصطلاحية واضحة لمفهوم التنغيم، إلا مع بداية البحوث التي قدمها "إبراهيم أنيس" حيث وظّف مصطلح موسيقى الكلام مقابلاً للفظ التنغيم، غير أننا نقع على قرائن ومعالم تشير إلى بعض الالتفاتات البحثية التي أولاهها الأوائل إلى هذا التلوين الصوتي، من ذلك ما ذهب إليه "ابن جني" في "باب الأوضاع إذا ضامها طارئ عليها" من "الخصائص" حيث يبين الفرق الدلالي الذي يحدثه التبدل النغمي في البنية التركيبية، مستشهداً بالجملة «مرت رجل، أي رجل» التي قد تأخذ مقصداً استفهامياً في الجزء الثاني من التركيب، كما قد تنحو إلى التعجب أو التقرير وذلك بحسب النغم الذي يلحقه بها الناطق.

ومن هنا ننهي إلى «أن الظواهر التنغيمية تحرك بشكل ملفت الكثير من عوامل الدلالة داخل المنظومة التواصلية المنطوقة، هذه العوامل اللسانية لا تقل شأنًا عن باقي العوامل التركيبية والصرفية»، إلا أن التركيبة الفونولوجية لمقاطع النغم، والطبيعة فوق اللغوية التي ميزتها جعلتها تتملص من الأحكام المعيارية، فالمقطع النصي النغمي يتأتى في هيئة «تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعية في حدث كلامي معين»، أي أنه يخضع إلى أحكام المراسم الفردي للكلام السياقي، الذي تؤسس له ثنائية الحال والمقام. غير أن هذه الحقيقة ليست مبررة بشكل كافٍ يمكننا من التغاضي عن دورها الوظيفي الذي تؤديه المقاطع النغمية في بنية اللّغة بخاصة، فلقد أثبت «لسانيو حلقة براغ يتقدمهم "ماتيسوس" Mathesius و"كاسفيسكي

Kasvesky "أن التنغيم يؤدي دوراً رئيساً في إحداث الدلالة «، وذلك بالنظر إلى الوظيفية التمييزية *La fonction distinctive* التي يحدثها فونيم التنغيم داخل التركيب، حيث يفرق بها حال الاستفهام من التعجب من التقرير والإخبار.

كما أن الاهتداء إلى علامات الترقيم كان له فضل ردم الهوة الحاصلة بين الفونيم التنغيبي وقرينه الدلالي، غير أن ذلك لم يستوف شروط المعنى التي قد يفضي إليها التركيب اللغوي « فالتنغيم يبقى أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة «، والشيء ذاته يحصل مع أدوات المبني من استفهام أو تعجب، حيث تلحق بالفونيم التنغيبي وظيفية نحوية هي تحديد الإثبات والنفي في جملة لم تستعمل فيها أداة الاستفهام فتقول لمن يكلمك ولا تراه: أنتَ محمدٌ، مقررًا ذلك ومستفهماً عنه وتختلف طريقة رفع الصّوت وخفضه في الإثبات عنها في الاستفهام ، حيث يعتلي الناطق بالصّوت إلى قمم قصوى من التصويب يصاحبها بتلوين ترنيمي *une prosodie* في منتهي التركيب، أو ينخفض بها إلى مستويات دنيا من الخطية التي كان عليها الصوت، أو يحافظ على مستوى منتظم من التصويت.

إضافة إلى هذا، فإننا في كثير من مواطن اللّغة والخطاب، نقع على هيئات تركيبية تحتل الانزياح أو العدول في صيغها، وهي مظاهر أسلوبية تخرج فيها اللّغة عن المعيارية التي تؤدّيها الوظيفة النحوية لبعض أدوات المعاني، فينعطف السياق إلى التعاليل السياقية التي تحتكم إلى نظرية المقام والحال، ففي الآية الكريمة: ﴿هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ ، لا تشغل الأداة /هل/ وظيفتها الاستفهامية، كما تقر بذلك القاعدة المعيارية، حيث تتعدها إلى وظيفة تأكيدية وتقديرية، تجلبها التغيرات النغمية التي تلازم التتالي المقطعي لبنية التركيب، بخاصة في الصيغة الأخيرة « من خلال تغيرات العلو والزمن والشدة، التي تؤثر في اقتياد المعنى وتوجيهه من التقرير إلى الاستفهام إلى التعجب «، وجميعها تبدلات تصويتية مصدرها الوترين الصوتيين، على نحو الحركة، غير أنها تأخذ ترنيماً ولحناً في الصّوت الرنيمي يؤديه أيضاً الوتران، ولا دخل للتجاويف فيها، ومن هنا فإننا ندرك مبدئياً أن سمات هذا النوع من الصّوت قد تسم له

حتما الحزم الصوتية الثانوية F2 و F3 من حيث هي الحزم الصوتية التي تترتب بحسب الأداء العضوي للصائت من إعلاء وتقوية.

فونولوجيا التنغيم في اللغة العربية

ذهب بعض الدارسين العرب إلى تقسيم ظاهرة التنغيم إلى نوعين، ارتكازا على البنية التي يلحق بها التنغيم، وارتكازا على الوظائف التي تؤديها الفونيمات و «وحدات النغم مثل المصوتات على نحو الوظيفية التمييزية والوظيفية التحديدية»، وهذا بالنظر إلى طبيعة اللغة العربية، التي تنقسم فيها الصوائت إلى طويلة وقصيرة، حيث يصبح المد صوتا فارقا ومميزا بين لفظة وأخرى.

أما التقسيم الثاني الذي خصه اللغويون لأنواع التنغيم، فهو التنغيم التركيبي، الذي يلحق بالجملة وشبه الجملة، مؤثرا في الوظيفة الدلالية، ويتفق جلهم على أنه نغم تتوزع أجزاؤه عبر كل الوحدات التعاقبية داخل التركيب، انطلاقا من أن «الوظيفة الدلالية يمكن رؤيتها لا في اختلاف علو الصّوت وانخفاضه فحسب ولكن في اختلاف الترتيب العام لنغمات المقاطع»، ووفق هذا المعطى، حددت أشكال النغمات على النحو الآتي:

– النغمة الصاعدة: *Rising* : وهي النغمة التي تلحق بالجملة الاستفهامية والتعجبية والأمرية والشرطية

كما في : دخل زيد؟ أدخل زيد؟ دخل زيدا! ، ﴿إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت﴾ وإذا البحار فجرت * وإذا القبور بعثرت * علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴿و﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾.

– النغمة المسطحة *flat* : وهي نغمة بينية تلتحق بالجملة التي يتواتر فيها الاستفهام مع التقرير كما في: ﴿عمّ يتساءلون﴾ عن النبأ العظيم * الذي هم فيه مختلفون * كلا سيعلمون ﴿.

– النغمة الهابطة: *Falling* : وهي النغمة التي تلحق بالجملة التقريرية الإخبارية كما في: ﴿الرحمن، علم القرآن﴾.

إن التصنيفات المقدمة لأشكال التنغيم داخل النسق، أخذت بعين الاعتبار التوزيع النغمي على صيغ التركيب جميعها، غير أن الدراسة الطيفية لا تتفق مع هذا الرأي، وتؤكد أن النغمة المستوية تعرف ثبوتا في

هيئة، يخالف التباين النغمي للدرجة الهابطة والمتصاعدة التي لا تلحق سوى بالمقطع الأخير من الصيغة الأخيرة في التركيب وهو أمر يضعنا أمام جبرية التيقن من مسألة التنغيم بالاعتماد على الإجراء التجريبي.

التشكل الأكوستيكي للمقطع التنغمي

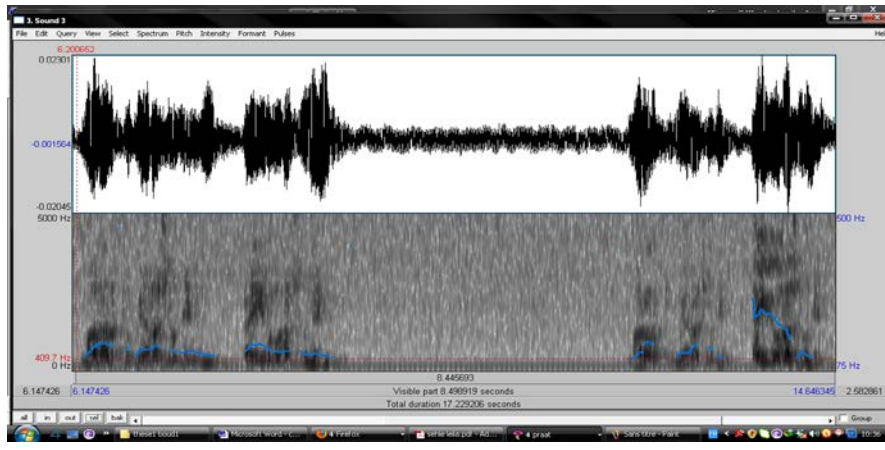
أشرنا فيما سبق إلى أن التنغيم هو حالة من التصويت المستمر، مصدرها الوترين الصوتيين، بمعنى أننا أمام هيئة اهتزاز متواصل، ولن يعدو التغير الحاصل في طبيعة الصوت النغمي، أن يكون تغيرا في درجة الصوت المجهر الصادر، وهي حقيقة يؤكدتها "غرامون" *Gramont* من حلقة براغ، حيث ينتهي إلى أن « الصورة الأكوستيكية للتنغيم في السلسلة الكلامية تفضي إلى تغيرات بارزة في العلو»، وهو بعد بُعد فيزيائي لمقدار الاهتزاز الذي يأخذه الصوت.

وضمن هذا المعطى، فإننا نخلص إلى أن الفونيمات التنغيمية، سوف تأخذ قيما مختلفة في الاهتزاز مقارنة بقيم المقاطع الأخرى المنتظمة، إلا أن هذه النظرية تدفع بنا إلى عملية قياس لقيم الصيغ جميعها، وهو مراس فيه عناء، غير أن اللجوء إلى المقارنة بين التمثلات الطيفية للمقاطع ضمن الخطية الكلامية يتيح لنا إمكانية استخلاص موضع المقطع النغمي مباشرة من المطياف، حيث « تدل التغيرات الطارئة على درجة الصوت على التحولات النغمية التي تلازم النسق الصوتي»، من خلال المنحنى المؤشر لدرجة الصوت *Pitch* الذي يأخذ شكلا مغايرا ومميزا، سواء بالصعود أو الهبوط مقارنة بباقي المقاطع، بفعل القيمة المتبدلة للاهتزاز التي تلحق « ببلتغير الطارئ الظاهر على الحزمة الصوتية الأساسية f_0 »، وهي تغيرات تنحصر في الغالب في المقطع الأخير من الصيغة الأخيرة من الجملة، التي تتبع بوقف تام *Pause*، وهو ما نسعى إلى إثباته من خلال المثالين المقدمين في القراءة الطيفية 1 و 2 فيما هو آت.

القراءة الطيفية للتركيب المنتظم نغميا : (حكم القاضي على فلان سجنا لا شنقا/ والتركيب النغمي)

حكم القاضي على فلان سجنا لا... شنقا) ، حيث يحدث الناطق نغما على المقطع الطويل المفتوح /ص ع ع/ من الصيغة /لا/ وهو نغم ينقل دلالة التركيب من النفي إلى التأكيد والتقدير حيث يمدنا المطياف بقرائتين

مختلفتين، من خلال المنحنى باللون الأزرق المعبر عن هيئة تمثل درجة الصوت في الحزمة F_0



/لا/ التقديرية المسطحة

/لا/ النغمية التصاعدية

توضح الصورة الطيفية، الحالة التصاعدية التي يأخذها المنحنى البياني الخاص بدرجة الصّوت عند بلوغه المقطع النغمي في التركيب الثاني للقراءة، وباللجوء إلى مقارنة بسيطة للمقطع ذاته من القراءتين /لا/، فإننا ندرك الاختلاف النغمي الحاصل بين البنيتين الصوتيتين.

أقسام التنغيم :

تنغيم مرتفع rising tone

تنغيم منخفض falling

تنغيم مستوى واحد level

الوظائف الدلالية للتنغيم :

● حالة المتكلم النفسية

● عاملا من عوامل توضيح الكلام وتفسيره

● يميز أنماط الكلام بين بعضها البعض

والجملة الواحدة قد يتغير معناها فمثلا : يا إلهي

فيمكن تأتي بمعنى التحسر .. الزجر .. عدم الرضا .. الدهشة

أنواعه :

● تنغيم هابط : وسميت كذلك لاتصافها بالهبوط في نهايتها على الرغم مما تتضمنه من تلوينات جزئية

داخلية .

أمثلة :

نوضح الأمثلة بالرسوم البيانية

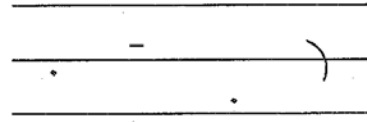
والرسم البياني لموسيقى الكلام يتبع فيها عادة ضوابط معينة وهي :

● رسم ثلاثة خطوط متوازية متساوية المدى فيما بينها

●الإشارة إلى المقطع المنبور بـ (-) فترسم إما مستوية أو صاعدة أوهابطة وفقا للنغمة المعينة

●الإشارة إلى المقطع غير المنبور بـ (0) فترسم إما في مدى مستوي أو صاعد أوهابط

●الجمال التقريرة :



maħ muud fil beet محمود في البيت

●الجمال الاستفهامية بالأدوات الخاصة مثل (متى .. فين)

●الجمال الطلبية مثل (اخرج برة)

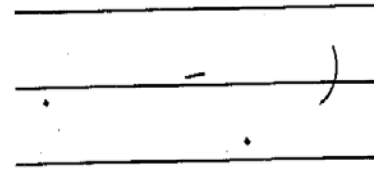
2. تنعيم صاعد :

سميت بذلك لصعودها في نهايتها بالرغم من تنوع أمثلتها الجزئية الداخلية .

من أمثلتها :

●الجمال الاستفهامية التي تستوجب الجواب بنعم أو لا :

محمود في البيت ؟



maħ muud fil beet ?

●الجمال المعلقة (الشرطية)

●التنعيم الصاعد والهابط معا :

مثل العد المستمر: (واحد , اثنين , ثلاثة , أربعة) فهي هابطة في الأول ولكن عند الاقتراب من الانتهاء من العد تصعد النغمة .

وظائف التنغيم :

- وظيفة نحوية تتمثل في تصنيف الجمل من حيث الأنماط مثل (تقريرية – استفهامية – تعجبية) (ما أجمل السماء)
- وظيفة دلالية سياقية مثل الرضا والغضب و..و.
- التعرف على الطبقات الاجتماعية (هذه الوظيفة عند علماء اللغة الاجتماعيين) وأيدهم د.كمال بشر.
- له دور في التفريق بين معاني المفردة في بعض اللغات مثال كلمة (ma) عند الصينيين تعني (الأم) إذا نطقت بنغمة مستوية وتعني (حصان) إذا نطقت بنغمة صاعدة أو هابطة .

س/ أكان لعلماء العربية في القديم معرفة في التنغيم أو موسيقى الكلام وإدراك لدوره ووظائفه في الدرس اللغوي ؟

أجاب د.كمال بشر بقوله ((شأنهم في ذلك شأن الناس خبروا التنغيم ومارسوه في أدائهم الفعلي للكلام . فعلوه لا بالتلقين أو التعليم أو بالقواعد والقوانين , وإنما كانوا يأتون به على وجه الصحيح بالعادة والسليقة والدربة , كما كانوا يفعلون مع الأحداث اللغوية الأخرى من أصوات وصيغ صرفية وتراكيب نحوية ... إلخ)) .
*علماء العرب في القديم (وفي الحديث أحيانا) لديهم إدراك عميق بموسيقى الكلام ولحونه , يظهر ذلك في صناعة الشعر والإنشاد .

فهل كان مقيدا كعلم أم لا :

يذكر د. كمال بشر : ألا وجود لأية دراسة نظرية علمية بالحدود المذكورة بالتراث اللغوي العربي ويستثني :

1- الخليل أحمد الفراهيدي أسس علم بحور الشعر وأوزانه

● سيبويه (اعلم أن المندوب مدعو متفجع عليه , فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف , لأن الندبة

كأنهم يترنمون بها)

● ابن جني : يختم مقدمة كتابه (سر صناعة الإعراب) بقوله (وهذا العلم هو علم الأصوات والنغم)

المحاضرة رقم: 13 - التفخيم والترقيق

مفهوم التفخيم والترقيق

جاء في "تاج العروس" أن « التفخيم هو التعظيم، يقال أتينا فلانا ففخمناه أي عظمناه ورفعنا من شأنه، والتفخيم ترك الإمالة في الحروف وهو لأهل الحجاز كما أن الإمالة لبني تميم »، كما ورد في "تهذيب اللغة" أن المادة الاشتقاقية (فخم) تحيل على: « فَخْمٌ، يَفْخُمُ، فَخَامَةٌ، فهو فخم »، وقد جاء في حديث لابن أبي هالة في وصفه النبي صلى الله عليه وسلم أنه « كان فخما مفخما، أي عظيما ».

ومن ثمة يمكن أن نسقط الدلالة المعجمية على المفهوم الاصطلاحي، فنخلص إلى أن التفخيم ظاهرة صوتية تتأتى بإلحاق غلظة أثناء النطق بالحرف تجعله يميز مورفيما عن آخر قد يتماثل مع في البيئة كأن تقول بِرْ/ب+/ر/ /biRun/ و بُرْ/ب+/ر/ /bəRəŋ/ فالراء الثانية جاءت أفخم وأغلظ من الأولى. أما « الرقة بالكسر الرحمة، ومنه الحديث اغتنموا الدعاء عند الرقة، فإنها رحمة. يقال رق له، وفي حديث الحسن البصري، من رق لوالديه ألقى الله عليه محبته، والرقة أيضا (الدقة). والترقيق تلطيف وتزيين». كما جاء في التهذيب: «الرق العبودية والرقيق العبيد، قال الأنباري، قال أبو العباس، سمي العبيد رقيقا، لأنهم يرقون لمالكهم»، وتوظيفا للمثال السالف ذكره يكون حال الراء الأولى راء مرققة في بِرْ/ب+/ر/ جاء التفخيم *Emphasis* دلالة على الإطباق *Velarisation*، وهي حالة تضخيم تلحق بتجويف الفم *cavité buccale* أثناء النطق فتتمظهر في شكل هيئة نطقية تؤديها حروف الاستعلاء السبع، (الطاء والضاد والظاء والصاد والقاف والغين والخاء) وذلك باستعلاء اللسان من أقصاه إلى الحَنَك الأعلى.

وجاء الترقيق *l'atténuation* دلالة على التنحيف الذي يلحق بباقي الأصوات اللغوية غير أصوات الاستعلاء، ويطلق على حروف الاستفال في صفتها التمييزية، عدا (اللام والراء)، وهما الصوتان اللذان يتبدل النطق فيهما بحسب التوضع الإفرادي الذي يردان فيه، وبحسب العلاقات الجوارية التي تحكمهما.

أقسام ومراتب التفخيم والترقيق عند النحاة

قسّم النحاة وعلوم التجويد ظاهرتي التفخيم والترقيق إلى مراتب يجوز فيها التفخيم بصفة

دائمة، ومراتب تستدعي الترقيق بشكل دائم، وحروف تتبدل بين التفخيم والترقيق بحسب الضرورات

النطقية، نلخصهما فيما يأتي:

حروف تفخم بشكل دائم: (خص ضغط قط)، / ḥā'/sād /thād / ġ/t ā'/ qāf/thā' /

حروف ترقق بشكل دائم: (كل حروف الاستفال، عدا الراء واللام) / lām/rā' /

❖ تفخيم الراء

وهو على أربعة مراتب:

الحالة الأولى: تكون فيها الراء مفتوحة وبعدها ألف، كما في: رايض

الحالة الثانية: تكون فيها الراء مفتوحة وليس بعدها ألف، كما في: ريض

الحالة الثالثة: تكون فيها الراء ساكنة وقبلها كسر، كما في: أرّحل

الحالة الرابعة: تكون فيها الراء مضمومة وبعدها واو، كما في: رويح

❖ ترقيق الراء

ولها عدة مراتب منها :

- تأتي مكسورة مطلقاً، سواء كان بعدها ياء كما في: تسري

- تأتي ساكنة وقبلها كسر، وليس بعدها حرف استعلاء، كما في: فردوس

- تأتي ساكنة وقبلها ياء المد، كما في: صغير

- تأتي ساكنة وقبلها ياء اللين، كما في: غير

❖ ترقيق وتفخيم اللام

وهناك حالات يجوز فيها التفخيم والترقيق في الآن نفسه أجملها النحاة في ثلاث حالات. أما اللام فهي

مرققة بصفة دائمة عدا لفظ الجلالة، (الله) / āllāh /

إن المتأمل في الحالات التي تتبدل فيها الوضعيات النطقية في حرفي اللام والراء، بين تفخيم وترقيق

يدرك أنها جاءت تلبية لضرورات نطقية تستوجبها العلاقات الجوارية بالدرجة الأولى، بمعنى أنه لا يمكن

الحكم على الحالات المتقدمة أنها انقادت وراء قواعد معيارية، بقدر ما هي أوصاف ألحقت بهيئة النطق في

موضعه الإفرادي، ودليلنا على ذلك الحالة الثالثة: حيث يجوز الترقيق للام كما يجوز التفخيم.

ومن جهة ثانية، فإن الحالات التي وقف عليها النحاة واعتمدوا عليها في صياغة قاعدة التفخيم، على

نحو لفظة الجلالة /āllāh/، تتداخل مع لفظة تجانسها في الهيئة البنوية، إلا أننا ننطقها مرققة على نحو:

(والله) /wāllāhə/ - ولّاه /wallahə/

إن البنية الفونيمية في اللفظتين *la structure phonémique* تلد تكون متطابقة عدا التلوين

الصوتي الذي وقع على اللام الأولى في لفظة /wāllāhə/ ونعده ترقيقا لها، عكس الحالة الثانية التي يتخذ

فيها فونيم اللام وضعية الترقيق، والملاحظ أن التبدل الصوتي ههنا، كان نتاجا لعلاقة جوارية تسبب فيها

صائت فونيم الواو الأول /w/، ما معناه أن الفونيم الذي أدّى وظيفة الترقيق والتفخيم هو الحركة الأولى

التي تبدلت بين تفخيم وترقيق في اللفظتين من /ā/ إلى /a/، ومن هنا نقف أمام استفهام محوري، مؤداه هل

نحن أمام ظاهرة صوتية (التفخيم والترقيق) يؤديها الصامت والحرف أم يؤديها الصائت؟

وقد أشار ابن جني إلى « أن الحركة بقلق الحرف عن موضعه، ومستقرّه، وتجذبّه إلى جهة الحرف التي

هي بعضه». فالتعريف يغني عن أي لبس مفاهيمي ويحمل إقرارا مطلقا بتبعية الصامت لحال الصائت، يرغم

"اعتماد ابن جني" على آلية التوصيف الدوقي، وإذا ما أسقطنا القاعدة على تساؤلنا يمكن أن نستدل على أن

صامتا (اللام والراء) يتأثران رأسا بحال الصائت الذي يسبقهما في البنية، وكذا الصائت الذي يتلوهما، بمعنى

أن الصامت في كل الحالات هو حرف ساكن، ثابت النطق، ومستقر الأثر السمعي، غير أنه يأخذ في التغير

والتبدل بعد أن يلحق بالصائت.

غير أن هذه الحقيقة الوصفية للصائت العربي لا تلي غاية تساؤلنا من كل نواحيه، ولا تقدم لنا

تعليلًا شافيا عن تساؤلنا، فقد يصادفنا تساؤل آخر مفاده: إذا كان عدد وكمّ الصوائت العربية قد حدد

سلفا بثلاثة صوائت قصيرة (فتحة، وضمة، وكسرة) تقابلها أخرى طويلة (ألف، وياء، وواو)، ولم يملك منها المحدثين سوى التسليم بمصداقية هذه الحقيقة وتحديد وضعها الفيسيولوجي، فلما اختلف في النطق، في التصويت للفونيم ذاته وبتوظيف الصّائت ذاته، وفي البنية ذاتها؟ هل هي إضافات ألفونية فقط ميزت النطق عند العرب، أم هي فونيمات نطقية مطلقة غُيبَت من التصنيف؟ ولفك اللّبس عن هذا التداخل، لا نجد سبيلا أسلم من أن نعتمد البرهنة الفيزيائية والفيزيولوجية لحقيقة التصويت بفونيم الحركة عند الناطق العربي. ومن ثمة السعي إلى طرح التعليقات الأكثر منطقية التي تحكم التبدل كما تحكم العلاقة الجوارية.

التحليل الفيزيائي

يقول "ابن جني" في حقيقة النطق بالصّوت اللغوي: « اعلم أنّ الصّوت عرض يخرج مع النّفس مستطيلا متّصلا، حتّى يعرض له في الحلق والفم والشفّتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمّى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف الأجراس بحسب اختلاف مقاطعها «، والمقصود بالمقطع هنا، هو الوحدة الصوتية الصغرى التي تشكل الكلم *Syllabe*، أي أن المقطع هو صوت أولي ينطلق من الجوف، ويتلون بحسب التجايف ووضع الأعضاء فيها، إلى أن يُقطع بحرف أو صامت، ليكتمل التلون والجرس، ذلك أن عامل التغيّر هنا والتلون هو نتيجة لطبيعة الحركة التي يؤديها التصويت بالصّائت والكمية الصوتية *quantité* *vocalique* التي يوظفها، ومن هنا، تستقل كل حركة بخاصيتها الفيزيائية التي تسمها بملح متفرد عن الصامت.

ونستدل هنا بقول "الخليل بن أحمد الفراهيدي" مجيبا سائله حول الفرق الكمي بين الحركات قائلا: « أخف الأفعال عليك السمع لأنك لا تحتاج فيه إلى استعمال جارحة إنما تسمعه من الصّوت وأنت تتكلف في إخراج الضمة إلى تحريك الشفتين مع إخراج الصوت، وفي تحريك وسط الفم مع إخراج الصوت، فما عمل فيه عضوان أثقل مما عمل فيه عضو واحد»، فتوظيف عضوين بدل عضو واحد دلالة على ثقل المنطوق، وجهره دلالة على صواتته، وشدته دلالة على قوته.

إن التصنيف الكمي *quantique* للصوائت العربية ينطلق من مسلمة أن «الضمة أثقل الحركات والفتحة أخفها، فهي إلى الكسرة أقرب»، ومن هنا، يصح لنا أن نؤكد بأن الاختلاف بين ألفوني (التفخيم والترقيق)، هو اختلاف كمي في صورته الأكوستيكية، وأثره السمعي، وهو أمر يمكن أن نبرهن له من خلال القراءة الطيفية لحرف اللام مثلا في اللفظتين السابق ذكرهما: /wāllāhə/ و /wallahə/ حيث أخذ ألفون اللام ثلاثة قيم متغيرة، وذلك في درجة النطق به مفتوحا مفخما جاءت على النحو الآتي: المعلم الأول ومقاديره 250 د/ث، والمعلم الثاني: 900 د/ث والمعلم الثالث: 2400 د/ث، وهي قيم نقرأها من خلال معلم الحزمة الصوتية لكل تصويت *formant*، أما إذا عمدنا إلى قياس الأثر الأكوستيكي لفونيم اللام المرقق فإن القيم سوف تتجه إلى أدنى، ومن هنا، نقول بأن الاختلاف الأكوستيكي الذي ألحق بحرف اللام كان نتيجة اختلاف في درجة تفخيم حركة الفتحة لا غير. ودرجة التغير في هذا الحال، هي ضرورات، يؤكد السياق حضورها، « فالفتحة قد تكون مفخمة وقد تكون مرققة وقد تكون بين التفخيم والترقيق » على نحو ضرب، ذرف، أجبر و» هذا الشيء نفسه يطبق على الكسرة والضمة (الطويلة والقصيرة)، فهما مفخمتان مع أصوات الإطباق وبين التفخيم والترقيق مع (القاف والغين والخاء)، ولكنهما مرققتان مع الأصوات الأخرى»، من هنا، ندرك أن الصوائت العربية لا تقف عند حد التفرع الثلاثي المستند إلى تنوعها النغمي والإيقاعي وتبدلها الأكوستيكي وأثرها السمعي، بل تتعداه إلى أضعاف العدد المذكور، وهذا في أكثر توظيفاتها شيوعا.

على مسلك هذا الطرح ننتهي إلى الوقوف على جملة من الأطروحات، أهمها أن التععيد الذي خص حالات التفخيم والترقيق عند علماء الصّوت العرب القدامى، هو وصف لحالات نطقية متغيرة ليس إلا، وليس تععيدا معياريا، دليلنا في ذلك التبدل النطقي للفونيم ذاته وسط البنية نفسها

كما أن ظاهرة التفخيم والترقيق لا تعدو أن تكون فعلا صوتيا يتغير على إثره الملمح الفونيمي الذي تحدثه مجموعة من الصوائت غير المصنفة عند اللغويين القدامى، إنها صوائت تختلف اختلافا كميّا في اتساعها عن الصوائت الست المتعارف عليها، ودليلنا في ذلك أن الظاهرة لا تختص بحرفي اللام والراء كما هو متفق عليه بل تصيب فونيمات أخرى، /ص/ تفخيم لـ /س/ و /ض/ والظ/ تفخيم لـ /ذ/.

إن الأنموذج المقدم هو تدليل على كثير من المسائل الصوتية التي وقع فيها الاختلاف عند رواد الدرس الصوتي العربي في القرون الأولى كونهم انتهجوا مناهج وصفية صرفة في قضايا كانت تستدعي الدراية التامة بالحقيقة الفيزيولوجية والفيزيائية للصوت اللغوي، غير أن هذا لا يُعد مبرراً شافياً لدارسي الصّوت المحدثين، بخاصة وأن التأسيس لهذه الظواهر قد أُلْم به القدامى بشكل واف، وبقي مبتوراً في جانبه الفيزيائي الأكوستيكي الذي من شأنه أن يكشف عن الكثير من خبايا الملفوظ العربي في تركيبه المقطعي.

- 1- أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، (باختصار).
- 2 -ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية- .المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1992.
- 3-ابراهيم بوداود - رسالة ماجستير - القياسات الحاسوبية للكميات الصوتية في التراث-2007
- 4-ابراهيم بوداود - اطروحة الدكتوراه- فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين - 2012
- 5-أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن.
- 6-أحمد عمر مختار، دراسة الصوت اللغوي.
- 7-عبد القادر جديدي ، البنية الصوتية للكلمة العربية، (باختصار)، المطابع الموحدة، تونس ، 1986.
- 8- كريم زكي حسام الدين ، أصول تراثية في علم اللغة -، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1985.
- 9 -عاطف مذكور، علم اللغة بين القديم والحديث، - مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1987.
- 10-عبد القادر عبد الجليل، التنوعات اللغوية، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 2008.
- 11-محمود السعران، علم اللغة، ص128، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1417هـ 1997
- 12-سمير شريف استيتية ، الأصوات اللغوية، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل، ط1، للنشر والتوزيع، عمان، 2003.
- 13 - كريم زكي حسام الدين ، أصول تراثية في علم اللغة ، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1985.
- 14-الفارابي، الموسيقى الكبير، عن عبد القادر، عبد الجليل الأصوات اللغوية (يراجع في المؤلف عند أ.دارر)
- 15-مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية

-18

-19

20 -ينظر،

22- ينظر رمضان عبد الله، الأصوات اللغوية العربية بين اللهجة والفصحى، دار المعرفة ، الإسكندرية، ط01، 2006.

محمد الأنطاكي الوجيز في فقه اللغة، مكتبة الشروق.

23- ينظر: مكي درار ، المجمل في المباحث الصوتية.

24- عبد القادر عبد الجليل، التنوعات اللغوية، ص 75

25- أحمد عمر مختار، دراسة الصّوت اللغوي، ص 286

26- بسام بركة، علم الأصوات العام، (أصوات اللّغة العربية)، مركز الإنماء القومي، لبنان بيروت، ص141

27-ينظر: عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية، الفونيتيكا، ص 190